الهدف

سياسية عربية — كل الحقيقة للجماهير

AL HADAF — SAT. 7 - 7 - 1973 — No. 209 — VOL. : 4 — السبت ٧ تموز ١٩٧٣ ـ العدد ٢٠٩ ـ السنه الرابعة ـ الثمن ٢٥ قرشا

١١ عاماً على انتصار ثورة الجزائر

العام الأول لاستشهاد غسان

بيروت ص.ب ٢١٢
تلفون ٢٠٩٢٧٠
أيلول ٧ تموز ١٩٧٣
العدد ٢٠٩ ـ السنة الرابعة

أسسها عام ١٩٦٩ الشهيد غسان كنفاني

المدير المسؤول أحمد أبو زياد

المدير الفني محمود داوريش

ثمن النسخة

لبنان	٢٥ ق.ل.
سوريا	٢٥ ق.س.
الاردن	٤٠ فلسا
العراق	٥٠ فلسا
الكويت	٦٠ فلسا
عمان	٧٥ فلسا
٥٠٤٠٣٠	٥٠ مليم
السودان	٦٠ مليم
ليبيا	٥٠ مليم
دول المغرب العربي	٥٠ مليم

□□□□□

الاشتراكات

في لبنان وسوريا و ج.ع.م. والاردن ٢٥ ل.ل ـ للمؤسسات والدوائر الرسمية ٥٠ ل.ل ـ للطلاب والعمال والفلاحين ١٥ ل.ل. في العراق ـ الكويت والخليج ـ السعودية ـ اليمن ـ السودان ـ ليبيا ـ تونس الجزائر ـ المغرب ٥٠ ل.ل ـ للمؤسسات والدوائر الرسمية ١٠٠ ل.ل ـ للطلاب والعمال والفلاحين ٤٠ ل.ل ـ عدن ٥ دنانير ـ افريقيا ـ الولايات المتحدة ـ كندا ـ اليابان ـ باكستان ـ الصين ـ ايران ٢٢ دولار او ٨٥ ل.ل ـ اوروبا الشرقية والغربية ٢٥ دولار او ٦٠ ل.ل ـ امريكا الجنوبية ٦٠ دولار او ١٠٥ ل.ل

□□□□□

الاشتراك يدفع مقدما بشيك او حوالة مصرفية ويرسل باسم مجلة الهدف

□□□□□

المكاتب
بيروت ـ لبنان
كورنيش المزرعة
ملك كامل عبد الله مروة

AL - HADAF
TEL. 309230
P.O.Box 212
BEIRUT - LEBANON

Saturday 7 [illegible] 1973
No. 209 — VOL [illegible]

تكوفرافور ويرس اللبناني
تلفون ٢٤٣٧٥٧
٢٩٦٤٣١

لتتعزز وحدة النضال بين القوى الثورية العربية من أجل قهر الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية

رسالة مغترب جنوبي الى المعلمين المصروفين

نحية اكبار واجلال لكم ولصمودكم الرائع في وجه نصف نظام الكرونال وارض الغدر ، نظام السماسرة والسرقات .. النظام الذي يكشر عن انيابه بحماء قطعان الشعب المحرومة والتي رفضت ساسه الحرمان فهبت منتفضة بطالب بحقوقها المسلوبة فكانت الانتفاضات التي فولمت بوحشيته وهمجيته في بلدة « الخرق » و « الدهمرطيه » .

انا كمغترب لبناني ومن الذين دفعتنا « الازدهار اللبناني » الى الشتات والضياع في مختلف بقاع الارض نقف الى جانبكم وندد مع اتركم وندعوكم الى الصمود في وجه العسف والعشوائية حتى تعطوا الى حقوقكم المشروعة .

اننا نستنكر بشدة ، سياسة القمع والارهاب التي يمارسها النظام اللبناني ضد فئات الوطنية والتقدمية من شعبنا معلنين ومؤكدين اننا سنقوم بشرح فضيحكم ونشرها بين جماهير المغتربين التي تواجد فيها لوضع حقيقة وطبيعة النظام الذي يتحكم بمصير وطننا لبنان .

ناشئ بطال الطبقة العاملة في لبنان
حنوي مغترب
كولومبيا

الحرية للوطنيين المغاربة

عشرات من الطلبة العرب في برشلونة ـ اسبانيا يشجبون محاولات الرجعية العربية والقوى الامبريالية محاولاتهم الرامية لضرب الثورة الفلسطينية وكافة قوى التحرر والديمقراطية في المنطقة العربية .

وقد جاء في الرسالة :

نوازاة حملة التطويق والاضطهاد الغاشمة التي تشنها منذ عامين الرجعية الاردنية ضد جماهير الشعب الفلسطيني وقواه المقاتلة ، تشنا الرجعيات العربية الاخرى ، وما زالت سلسلة حملات تطويق وقمع وارهاب ضد الشعب وقواه الوطنية والديمقراطية والثورية المنطقة في محاولة يائسة منها لاعادة قبضتها حول خنقه وارغامه على الاستسلام وقبول كل اشكال القهر الوطني والطبقي .

وامام الصمود الرائع لقوى الشعب المنظمة لم يجد حكم الخيانة والعمالة في المغرب سبلا لمواجهة الحالة التي تلوح له بمصيره الحتمي الاسود ، سوى تصعيد قمعه لقوى الشعب الوطنية الديمقراطية والثورية .

فنحن الطلبة العرب نعلن :

١ ـ اداننا بكل حدة وصرامه لقرار الحكم الشنع القاضي بحل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب .

٢ ـ ندين حملات الاعتقال والاختطاف التي لجأت وتلجأ اليها السلطة قبل اتخاذ قرارها الدنيء .

٣ ـ نعبر عن تضامنا اللامحدود مع شعب المغرب وشبابه في الجامعات والثانويات ، في نضاله من اجل « مغرب وطني » ديمقراطي متحرر من سيطرة الامبريالية .

٤ ـ نطالب احرار المحافل العرب بالتحرك عن مصير المختطفين والدفاع عن حقوق المعتقلين السياسيين وفضح الاجراءات اللاوطنية ـ اللاانسانية ـ اللاقانونية التي تمارسها السلطة العميلة في المغرب بحق الوطنيين والمناضلين الثوريين .

٥ ـ نشجب الاجراءات الدكتاتورية التي تتخذها اكثر سلطة عربية لوقف المد الثوري في المنطقة العربية .

ـ الحرية للمناضلين في سجون الارهاب المغربي ،

ـ والمجد لنضال الشعب المغربي الباسل ،

ـ الحرية والعار لحكم الخيانة والعمالة .

من الجالية العربية في كولومبيا الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

نحن ابناء الجالية العربية في بوغوتا ـ كولومبيا ـ والموقعين ادناه نطالب اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وجميع فصائل حركة المقاومة بضرورة انجاز وحدة وطنية دمقراطية العلاقات تكون في مستوى الرد على غطرسة العدو الاسرائيلي وقادرة على مواجهة كافة المؤامرات الامبريالية الرجعية التي تحاك ضد حركة شعبنا الوطنية .

كولومبيا

الى الرفيق محمد كاظم الدايني ـ العراق

لقد وصلت رسالتك الى الهدف وتجب هنا تسجل موجز عن الاسئلة التي وجهتها الى « الهدف » الا انه بعض الاجابات الفصلية واضحة فيما تكبه « الهدف » اسبوعيا من مراقبتها للاحداث .

■ ان اهداف القوى الرجعية من ضرب المقاومة الفلسطينية تجد في كونها نقع كعقبة اكيده في وجه الحلول الاستسلامية والحلول الامريكية في المنطقة وكون ضرب المقاومه ايضا يعطي القوى الرجعية في المنطقه دور المبادرة لتنفيذ مشاريع اسرائيل والامبريالية . ومن يعطي لاسرائيل فرصة لتنفيذ مخططاتها الامبريالية في المنطقة . كل ذلك وغيرها من الاهداف التي يمكن للقوى الامبريالية تحقيقها فيما لو نجحت تلك القوى في تصفية الثورة الفلسطينية .

■ ان الرائط القائم بين القوى الرجعية في لبنان ونظام الاردن والسعودية تابع من ترابط مصالحها مع بعض ولاقي خطوط هذه المصالح بخطوط المصالح الامبريالية في المنطقة . لذلك تأتي مواقف هذه الانظمة باستمرار منسجمة مع مخططات القوى المعدوة ومحاولاتها المستمرة للسيطرة على مقدرات الشعوب العربية .

■ وتتحدد ايضا الادوار المرسومة للاحزاب الطائفية والقوى الرجعية المتخلفة في لبنان حيث يتحدد موقفها من اية ازمة بشكل واضح بما تقوم به لضرب التوجهات الوطنية التي تعمل باستمرار من اجل اعطاء لبنان وجهها وطنيا وعربيا يعكس القوى والاحزاب العميلة الامبريالية في افكارها ومواقفها .

ان هذه الادوار التي يلعبها الاحزاب والقوى العميلة على الصعيد الداخلي ناتجه من خلفياتها الفكرية والطبقية الامبريالية المتخلفة على نفسها والناتجه من عقائد بعيده عن امة بطبره مطوره ومتخلفه .

لذلك لا يشكل ابدا سلوك هذه الاحزاب ومواقفها .

المحرر

جريمة باريس الجديدة ومسؤولية السلطات الفرنسية

اركبت السلطات الصهيونية جريمة اخرى في باريس باقدامها على قتل مواطن جزائري سارعه الى كان يستخدمها في باريس . وتأتي هذه الجريمة بعد اقل من شهرين من اقدام العصابات الصهيونية في باريس على اغتال الرفيق الفاضل الدكتور باسل الكبيسي في احد شوارع باريس ، وكانت قبل ذلك قد سفت الشهيد محمود الهمشري في منزله ..

ولا يجب ان نمر هذا الحادث بانه عمل بسيط وانما لا بد من احداه ووضعه في مكانه الصحيح الذي يحدد فيه ومن خلاله حجم الرواجد الارهابي الصهيوني في مدينة باريس والكيفية التي تحرك فيها العصابات الارهابية الصهيونية ومن ثم ما تفرضه هذه الجريمة الجديدة على السلطات الفرنسية وضروره الكشف عن قتله الهمشري والكبيسي وغيرهم ، والا فان التغاضي عن هذه الجرائم يعني ان هناك خطوط تلاقي بين الارهاب الصهيوني وبعض اجهزة الاستخبارات الفرنسية التي تهيء العمل لاجهزة العمل الصهيوني .

تصحيح نشر سابق يجب تصحيح بالشكل التالي :
١١٢٧ دولار من النادي العربي الفلسطيني في ملبورن
١١٥ دولار من الجالية العربية في سانتو الحلو ع.ج
٥٠ دولار من الجالية العربية في سانتو الحلو ع.ج
٦٠ دولار من أ.س ـ مندوبه
١٠ دولار من ف.ت ـ مندوبه

هذه المجلة

١ ـ □ « يجب ، يجب بالضرورة وقبل كل شيء آخر ، .. ايجاد الصلة الفعلية بين المدن على اساس العمل المشترك المنظم .. واني أؤكد بأصرار ان الشروع بايجاد هذه الصلة الفعلية لا يمكن الا على اساس الجريدة العامة .. »

٢ ـ □ « ان توزيع الجريدة بحد ذاته يبدأ بانشاء الصلة الفعلية .. ان الاتصالات بين المدن اليوم ، لحاجات العمل الثوري ، هو امر نادر جدا .. وعندئذ نصبح هذه الصلات هي القاعدة ، ونضمن طبعا لا توزيع الجريدة فقط ، بل ، وهو امر اهم بكثير ، تبادل الخبرة والمواد والقوى والموارد، عندئذ يتسع نطاق العمل التنظيمي اتساعا كبيرا على الفور .. »

٣ □ ـ « (يجب ان) نصبح هذه الجريدة جزءا من مناخ حياته هائل ، ينفخ فيي كل شرارة من شرارات النضال الطبقي والسخط الشعبي ويجعل منها حريقا عاما » ، وحول هذا العمل ، الذي هو بريء جدا وصغير جدا بحد ذاته ، ولكنه منظم وعام بكل معنى الكلمة ، بنما بصورة منظمة ، وبتعلم ، جيش دائم من مناضلين مجربين .. »

(لينين)

تصاعد النشاطات في أزمة الشرق الأوسط

وخلفية التركيز الشديد على الجانب الفلسطيني

على امتداد الشهرين الماضيين كانت « قضية الشرق الاوسط » ، وما تزال محورا رئيسيا لنشاطات محلية وعربية ودولية كثيفة ومتعددة الاشكال والاتجاهات .. فقد ازدحمت هذه الحقبة القصيرة نسبيا كما لم تزدحم اي فترة سابقة ، بالزيارات واللقاءات والاجتماعات والتصريحات التي تتناول هذه القضية بشكل رئيسي .. وفيما يلي ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ بعض من عناوين هذه النشاطات :

● اعداد ١٠ نيسان الاسرائيلي ـ الامريكي على ربوع والاوزاعي والدورة وصيدا الذي استشهد فيه القادة كمال ناصر وابو يوسف وكمال عدوان وغيرهم من المناضلين.. لم مظاهرة الربع مليون واسفالة صائب سلام .

● مؤتمر الدبلوماسيين الامريكيين في الشرق الاوسط ، والذي انعقد في طهران وتركز حول مهمة رئيسية هي محاربة « الارهاب »، اي محاربة النشاطات الوطنية والثورية في المنطقة .

● هجمة ٢ ايار التصفوية ، ثم الازمة اللبنانية التي اعقبتها ، والتي ما تزال تتفاعل حتى الان .

● الحشود الاسرائيلية المتزايدة على حدود لبنان وسوريا .

■ تصريحات المارشال نيتو ، حول ان مؤتمر الامن الاوروبي سوف يفشل اذا لم يجر الوصول لتسوية قضية الشرق الاوسط.

● تصريحات الجنرال دايان ، حول معارضته لمشروع الدولة الفلسطينية معارضة كلية ، ومطالبته الدول العربية بتوطين الاسرائيليين ، والتفاوض حول قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ .

● زيارة المستشار الالماني الغربي فيلي براندت لاسرائيل ، وزيارة وزير خارجيته شل للقاهرة وعمان وبيروت .

● اجتماع المجلس الوزاري لحلف المعاهدة المركزية ـ السنتو ـ في طهران وخروجه بنفس النتائج التي خرج بها مؤتمر الدبلوماسيين الامريكيين .

● اجتماعات مجلس الامن الدولي الخاصة « بمناقشة ازمة الشرق الاوسط من اساسها» وتعليق تلك الاجتماعات حتى الخامس عشر من تموز الحالي . وطرح موضوع الامة الفلسطينية في تلك المناقشة من قبل وزير الخارجية المصري .

● لقاء القمة السوفياتي ـ الامريكي .

● زيارة اللورد بالنيبل ، نائب وزير الخارجية البريطاني ، لكل من تونس ومصر ولبنان والاردن .. ثم زيارته لاسرائيل .

● التعديل الوزاري في الاردن ، ثم زيارة عبد المنعم الرفاعي للقاهرة ودمشق والكويت، كمبعوث شخصي من قبل الملك حسين .

● زيارة رئيس وزراء ايران امير عباس هويدا للاردن .

● زيارة الملك حسين لايران والسعودية .

■ زيارة وزير خارجية ايران للسعودية.

● زيارة اشرف مروان وحسن التهامي، مستشاري الرئيس السادات ، للسعودية.

■ تصريحات المارشال نيتو ، حول ان مؤتمر الامن الاوروبي سوف يفشل اذا لم يجر الوصول لتسوية قضية الشرق الاوسط.

● تصريحات الجنرال دايان ، حول معارضته لمشروع الدولة الفلسطينية معارضة كلية ، ومطالبته الدول العربية بتوطين اللاجئين الفلسطينيين في اراضيها .

كل هذه النشاطات البارزة .. وغيرها من النشاطات « الهادئة » حدثت خلال الشهرين الماضيين .. ومع ذلك فان ما هو اكثر اثارة في كل ذلك ، ان الجانب الفلسطيني من القضية ، قد شغل للمرة الاولى تقريبا ، ذلك القدر من حيز الصدارة في كل هذه النشاطات .

ورغم ان تناول هذا الجانب لم يكن بنفس الشكل والاتجاه من قبل مجموع هذه الاطراف المتحركة ..

فان الحقيقة الاساسية التي يؤكدها هذا التناول المتنوع هو الاعتراف بحقيقة وجود الشعب الفلسطيني ممثلا بحركة المقاومة .

في البداية كان تصور القيمين على السعي لاجل حل سلمي ، والراكضين وراء ذلك الحل ، انه بالامكان القاء على قضية الشعب الفلسطيني مجرد قضية مجموعة من اللاجئين، وان حركة المقاومة ليست الا انتفاضة آنية تشكل ردا نفسيا على هزيمة حزيران، وسوف تلاشى امام مجموع القوى والمعطيات والظروف التي تحيط بها . وان تلاشيها سيخلف فجوة من الاخفاق في ضمير هذا الشعب ، يسهل معها تمرير التسوية ـ التصفية . او، على ذلك القدر من حسن النية المفترض ، سيخلف فجوة من الاحباط في ضمير هذا الشعب ، يسهل معها تمرير التسوية ـ التصفية . او، على الاقل ، سوف تتحول هذه الحركة الى كيان مجوف يمكن استجراره نحو مواقع المشاركة في التصفية ، تماما كما استجرت بعض الانظمة العربية من خلال توجهها الداخلي .

لكن تطورات الامور خلال السنوات الماضية، ورغم كل النكسات والاخفاقات التي تعرضت لها حركة المقاومة ، قد كشفت ان هذه الحركة هي معطى تاريخي للجماهير الفلسطينية والعربية .. لا بل وان هذه الحركة، بالضبط في الفترة التي ظن فيها معسكر العدو انها وصلت منعطف اللاشيء او النجوف ، قد اخذت تنعطف بسرها الى منحى اخر ... منحى ثوري جديد من حيث تطوير وحدتها الوطنية وتعميق ارتباطاتها الجماهيرية والاندفاع في طريق التفاعل الثوري الاصيل مع الجماهير العربية وحركتها الوطنية والتقدمية ، الامر الذي اخذ يبشر بنهوض جديد في المنطقة هو اوسع بكثير من النهوض الفلسطيني واكثر شمولا .

هذا التطور كشف ان كل التنازلات المقدمة من قبل الانظمة العربية ، لا تكفي لتصفية جوهر المسالة .. الا اذا جرى الخلاص من حركة المقاومة بصورة او باخرى !

ومن هنا لا يصبح مصادفة ابدا ان كل الجهود المتعلقة بالحل السلمي قد انحصرت هذه الفترة في المسالة الفلسطينية .. ويمكن تبويب هذا التعلق تحت ثلاثة اتجاهات رئيسية :

● اولا : محاولة التصفية المباشرة التي شاركت فيها اسرائيل والامبريالية الامريكية والرجعية العربية .

● ثانيا : استغلال الجو المأساوي الذي تتركه محاولات التصفية المباشرة ، لبذل جهود جديدة في طريق محاولة استجرار المقاومة للمشاركة في التسوية ، ونحت هذا البند تدخل كل النشاطات المتعلقة بمشروع الدولة الفلسطينية .

● ثالثا : استكشاف الافق الثوري الجديد الذي اخذت تمثله المقاومة في التاثير على الاوضاع العربية ، والاخذ به كاحد المعطيات الموضوعية في المنطقة .. ويدخل تحت هذا البند تطور العلاقات السوفياتي ـ الفلسطينية وما جاء في البلاغ السوفياتي ـ الامريكي المشترك من اعتراف بوجود الشعب الفلسطيني ، رغم عدم وصول لقاء القمة المذكور الى اتفاق حول صيغة للتسوية في المنطقة .

وهذا البند الثالث سيكون له نتائج هامة على صعيد الوضع في المنطقة اذ انه يمثل تصادما بين نوعين من الاعتراف الدولي بحقيقة وجود الشعب الفلسطيني : نوع يقول بوجوده كعقبة في وجه التسوية ـ التصفية، وبالتالي يقول بضرورة تصفية ثورته كمدخل لتلك التسوية ، ونوع يقول بوجود وطني لذلك الشعب لا بد من اخذه بعين الاعتبار ضمن اي تعاطي ليس مع المسالة الفلسطينية فحسب وانما ايضا مع الوضع في المنطقة كلها.

ولعل اول نتائج هذا التصادم، هو الحملة العادية للسوفيات التي طلعت بها الانظمة المستسلمة ، والتي استندت الى القول بان الاتحاد السوفياتي لم يستطع الضغط على امريكا لتضغط على اسرائيل لتامين حضور الحل السلمي .

ومثل هذه الحملة لن تقف عند هذه الحدود ، بل ستدخل فورا ضمن نطاق التصادم السياسي حول مجمل امور المنطقة والتحولات الداخلية الجارية في اكثر من قطر عربي وردود الفعل على تلك التحولات .

وفي هذا الجو المتطور ـ الموتر يكتسب صمود المقاومة وتصاعد نضالها القتالي والسياسي ، وتعمق نهجها الثوري اهمية غير محدودة ، اهمية تتعلق اشد التعلق بالافق النضالي الستراتيجي ليس للجماهير الفلسطينية فحسب وانما ايضا لمجمل النضال التحرري العربي . ذلك لان المنطقة برمتها تقف الان على ابواب تحولات وتطورات بالغة الخطورة والاهمية ، على عكس ما يتصور اعلاميو الاستسلام الذين يروجون لثبات المعادلات الراهنة . ■■

برقية تعزية

سيادة الرئيس احمد حسن البكر
الرفاق اعضاء وقيادتي القومية والقطرية
الرفاق اعضاء مجلس قيادة الثورة

يشعر المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ان المصاب الذي الم بالعراق الشقيق هو مصابنا ايضا. نعزيكم بالخسارة بفقدان اثناء الثورة العراقية على ابدي المتامرين هو خسارة لكم ولقضية العراق الوطنية وقضية العرب الا ان ما يعزينا هو ان حلقات التآمر باءت بالفشل . ان السياسة التي انتهجوها ضد المصالح البترولية الاحتكارية وغاراتكم مع القوى الاشتراكية بدفع الامبريالية لتجنيد العديد من قوى الرجعية المحلية والاردنية والعربية من اجل التآمر على سلامة العراق في الوقت الذي ندين العمل الاثيم . ستنتصر واياكم على نفس الطريق بمعاركنا . لن نوقف يوما طالما بقي استغلال واضطهاد .

المكتب السياسي
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

من هو يوسف آلون؟

صرح في واشنطن اشنط طيار اسرائيلي في سلاح الجو وهو الكولونيل « يوسف الون » حينما اقدم مجهولون باطلاق النار عليه وهو عائد من احدى الحفلات الى بيته في تمام الساعة الثامنة صباح يوم الاثنين ٢ تموز .

يعتبر الون من اشنط ضباط جيش الدفاع الاسرائيلي ومن اوائل الضباط الاسرائيليين الذين تدربوا على قيادة طائرات الفانتوم الامريكية وهو الضابط الذي كان مخولا لدى الولايات المتحدة من اسرائيل بعقد صفقات السلاح الاخيرة .

ويوسف الون ايضا يمثل مسؤولية مباشرة عن البعثات العسكرية الى امريكا . فمنذ الاهمية يمكن ان تتوضح اكثر من خلال التصريح الذي وصف به عايزا وايزمن الون « ان القتلة قد نجحوا في فعل شيء لم يستطع الطيارون المصريون والسوريون وغيرهم ان يعملوه » .

من هو يوسف الون ؟

ـ ولد الكولونيل يوسف الون الذي قتل في واشنطن عام ١٩٣٠ في مستوطنة عين هارود بالقرب من بيت الفا .

ـ وفي عام ١٩٣٢ رحل مع والديه الى اوروبا حيث لقي والداه مصرعهما في معسكرات النازي في عام ١٩٤٤ . وبواسطة بعض الجمعيات السرية نقل يوسف الون ـ وكان اسمه انذاك جو مانشيك ـ الى بريطانيا في عام ١٩٣٩ حيث تبنته احدى الاسر .

● وفي عام ١٩٤٨ ارسله الهاغانا الى شيكوسلوفاكيا حيث تم تاهيله كطيار . وشارك في ١٩٤٨ في معارك الابادة ضد الشعب الفلسطيني . وفي عام ١٩٥٠ عين برتبة ملازم في القوات الجوية الاسرائيلية تحت اسم يوسف الون وتدرج حتى عام ١٩٥٤ من طيار مقاتل الى طيار تدريب ثم قائد سرب .

● وفي عام ١٩٥٦ اشترك في حرب سيناء وتولى قيادة ثلاث اسراب « اوراغون وميشيد ثم مراج » وتراس بعد ذلك وفد القوات الجوية الذي سافر الى فرنسا لاستلام صفقة طائرات المراج .

● وفي عام ١٩٦٤ التحق بكلية اركان حرب في بريطانيا .

● وفي عام ١٩٦٥ عين مسؤولا عن الطيران في القيادة العامة للقوات الجوية .

● وفي عام ١٩٦٦ تولى قيادة قاعدة جوية عسكرية وهو المنصب الذي شغله لمدة اربعة سنوات .

وقد كان يوسف الون على وشك ان ينهي مهمته في السفارة الاسرائيلية في واشنطن ويعود للاراضي المحتلة الا انه لم يتمكن من ذلك . ولقي مصرعه على ايدي رجال مجهولين .

اضرابات اسرائيل الأخيرة

جزء من أزمة النظام الاقتصادي الصهيوني

اجتاحت اسرائيل خلال الشهر الماضي سلسلة من الاضرابات كان ابرزها اضراب العاملين في الاذاعة والتلفزيون الاسرائيلي كانت نتائجه توقف الاذاعة والتلفزيون عن البث اكثر من اسبوع . وكذلك اضراب الاطباء الذي شل الحياة الطبية في اسرائيل وخلف ازمة كبيرة داخل اللطة الاسرائيلية . واضراب العاملين في معامل الورق بالخضيرة وتوقف عمال الجمارك والعاملين في ضريبة الدخل وهيئات التدريس في الجامعات وعمال المطابع في الصحف والممرضات وموظفي الدولة .

اسباب الاضرابات

تعيش اسرائيل تاني دوله في العالم بعد ايطاليا من حيث الاضرابات العمالية والسبب الذي يدفع العمال للاضراب باستمرار هو الاجحاف الذي يلحق بالعمال جراء « علاقات العمل » الاستغلالية والاجور المتدهوره سن المرتبات العليا والدنيا في الاقتصاد الصهيوني .

هذا الاجحاف الذي نصت عليه عقود العمل مع بعض فئات العاملين وما تحدثه هذه التفاوتات من ردود فعل ، والشعور الذي يزداد رسوخا لدى العاملين في المجمع الاسرائيلي العائم على الاستغلال والاضطهاد هو السبب وعدم تحقيق مطالب العمال في اسرائيل وكما يبدو فان السلطات الصهيونه تحذو مثل هذه المواقف المستغلة ضد مطالب العمال ، والفئات العاملة في جهاز الخدمات ، من اجل الهيئة وفرض الاجواء المناسبة التي سبق عاده انتخابات الهدروت التي سيجري في تشرين الاول القادم .

وكما ان ظاهره الاضرابات الواسعه في اسرائيل واضراب اكثر من فئة من فئات المجمع الاسرائيلي دليل ضعف سلطة الهدروت على عمال اسرائيل ، ونمو الشعور الرافض لدى العمال الاسرائيليين وعدم تقبلهم لما تطرحه هيئات الهدروتيه وكما يبدو واضحا سبب مواقف الدعم التي يتلقاها الهدروت من السلطات الاسرائيليه ومواقف الهدروت التي يتخذها ضد العمال ، هذا الشيء يعبر دلالة واضحة على كون الهدروت مؤسسه حكومية اكثر منها نقابية تتلقى اوامرها من مكتب رئيسة الوزراء .

وهناك مجموعة من الاسباب وراء ازمة الاضرابات الاخيرة نمثل في :

١ ـ يبدو واضحا ان السبب في اتساع موجه الاضرابات هو ازمة النظام الاسرائيلي وضعف الاعمدة الاقتصادية المقام عليها هذا النظام واعتماد هذا النظام على المونات الخارجية وعلى القروض الدورية التي يحصل عليها اسرائيل من الدول الامبريالية، وتنعكس ذلك على خطط اسرائيل المستقبلية وعدم قدرتها على تغطية متطلباتها اكد ذلك احاديث الدكتور بونشتاين حيث قال : « ان اسرائيل تعيش على المونات الخارجية التي اصبحت عنصرا اساسيا في الطابع الاسرائيلي » وقال ايضا « ان الاقتصاد والانسان الاسرائيليين يقبلان بالتدريج مبدأ الطفيلية » .

٢ ـ يعتبر التضخم من احدى الاسباب التي ادت الى ازمة الاضرابات في اسرائيل بسبب النسبة الكبيرة التي تشكلها سنويا . حيث تصل الى عشرين بالمئة وانعكاسات ذلك على اسواق الالة الاسرائيلية وتضعفها وتأثيرات ذلك على العاملين في مجالات الاستخدام والعمل الاسرائيلي، هذا التضخم الذي عكس نفسه في ارتفاع شديد لاسعار الحاجيات الاستهلاكية الاساسية بسبب ارتباط السوق الاسرائيلية بالنسبة لهذا النوع من البضائع بشكل ارتباطه بالسوق الامريكية التي تعاني نفسها من تضخم مالي ما زال البيت الابيض بواشنطن نفسه لا يعرف طريق الخروج منه .

ان ارتباط الاسرائيلي بعجلة الاقتصاد الامبريالي في نفس الوقت ، الذي اتاح لاسرائيل ان تتمتع برؤوس الاموال المصدرة لها جعلها تعاني من التضخم الذي صدرته لها .

اضراب اطباء اسرائيل

تقدم ممثلو الاطباء المضربين بعدد من المطالب المحددة تمثلت في رفع اجورهم بنسبة ٦٠٪، الا ان ممثلي السلطة والهستدروت ، رفضوا هذه المطالب فكان رد الاطباء اعلان الاضراب وقاموا وعلى مسؤوليتهم بمعالجات خاصة ، اخذوا يستقطعون اجورهم من المرضى خرقا لقانون الطب الاسرائيلي . وقد اثار هذا التصرف السلطات الحكومية التي طلبت من الاطباء بالتوقف عن ذلك .

ولمواجهة ذلك تقدمت السلطة بعرض ٢٥٠٦٪ لقاء توقفهم عن الاضراب وخرقهم لقانون الطب الاسرائيلي ، الا ان ممثلي الاطباء رفضوا هذا العرض قائلين ان الاجور « وارتفاع الاسعار» ووسائل المعيشة تتطلب رفع اجورنا ٦٠٪ .

وعلى ما يبدو سوف يستمر الاطباء في اضرابهم رغم ما ابداه المسؤولون الصهاينة من امتعاض لمواقف الاطباء .

وقال احد المسؤولين عن الاضراب ان السلطات لم تفهم ولا نريد ان نفهم اننا لم نكن نحن المبادرين بالاضراب ، فالسلطات هي التي رفضت قبول كل مقترحاتنا ونريد ايضا الحفاظ على كل حقنا في العيش معيشة كريمة .

تطور الازمة

اخذت الازمة تتطور في الايام الماضية حيث اغلقت عدة مستشفيات في اسرائيل وقام الاطباء بمعالجة المرضى بشكل مباشر . وقد وقفت السلطات الصهيونية ايضا موقفا متصلبا وشديدا ورفضت الخضوع لمطالب الاطباء واكثر من ذلك فقد حاول وزير الصحة التريفي ضد الاطباء اذ قام الوزير بالطلب من الامن العام بتشكيل وسيلة ضغط ضد الاطباء .

وقد شنت ايضا بعض الصحف الاسرائيلية حملة اعلامية فقالت جريدة ناشا سرانا « اذا كان ينبغي على كل مستخدم ان يفكر مائة مرة قبل ان يلجأ الى سلاح الاضراب فان من واجب كل طبيب ان يفكر في الامر مليون مرة » .

هذا وقد ظهر نيارا تعبر بالنسبة للمسؤولين الصهاينة من اخطر الامور وهو تنامي رغبة الاطباء الشباب بالتزوج من البلاد ومحاولاتهم التلويح بهذه الورقة كوسيلة ضغط على السلطات الصهيونية .

وعلى العموم الرسمي فقد احدثت موجة الاضرابات مجموعة من الانتقادات فقد نقدت كلتا « غاحل » «والوسط الحر» في الكنيست باقتراحان بحجب الثقة عن الحكومة بسبب الاضرابات الاخيرة ، وعدم قدرة السلطة على مواجهتها .

الاضرابات الاخرى

لم تتوقف موجه الاضرابات منذ بداية الشهر الماضي . فقد اعلن موظفو الدولة الاضراب وعددهم ٥٠ الف موظف لمدة ٢٤ ساعة . وكان قبل ذلك قد اضرب عمال مطابع الورق في الخضيرة الذين يبلغ عددهم حوالي ٨٠٠ عامل ، حيث خرج العمال من المعامل وهي تعمل ، مما سبب ذلك في تلف اغلب الالات في المصانع .

وتعتبر معامل الورق في الخضيرة من اكبر المصانع الذي ينتج حوالي ٥٠٪ من الورق في اسرائيل .

ويطالب العمال بتحسين احوالهم المعيشية ورفع الضرائب الباهظة عن كاهلهم وتوفير حد ادنى من المعيشة اللائقة . وهذا فليس هناك من دلائل تشير الى ان الازمة سوف تتوقف وانما تزداد كل يوم سوءا بسبب مواقف السلطة وعدم قدرتها على مواجهة الازمة لانه كما هو واضح فان جذور الازمة تتعدى حدود اسرائيل ونابعه من ازمة النظام الامبريالي العالمي .

كل ذلك يتعكس بشكل واضح ويؤثر في مجريات الاحداث الداخلية في اسرائيل . وكذلك تعتبر مصروفات الامن والدفاع الصهيونية اكبر مجال لامتصاص الاموال الاسرائيلية فلذلك فالسلطة الاسرائيلية لا تجد مجال ولا قدرات لتطوير الاقتصاد وتحسين معيشة العمال، بل تزيد من الاستغلال والاضطهاد

وقد انفجرت العبوات الموقوته في اوقات متباعدة مما ادى الى حدوث ارباك في العمليات الواسعة التي قامت بها قوات الجيش الصهيوني لمقاومة امتداد النيران . الا ان اشتداد الاشتعال ونوالي الحرائق في اماكن متعددة حال دون مقاومة الجيش الصهيوني للنيران التي التهمت احدى معسكرات الجدود الصهيوني التابعة لسلاح المدفعية . وقوات الشرطة العسكرية الصهيونية .

وكذلك اتت النيران على جزء كبير من مدرسة كاهوري الزراعية . وقد اعترف العدو بالعملية واعلن انه قد تم السيطرة على النيران التي اندلعت في الغابتين الا انه لم يعلن عن خسائره التي وقعت .

هذا وقد اعلنت اسرائيل خلال الاسبوع الماضي عن حدوث حريق « صغير » في مطار اللد على اثر احتراق جدار كان موجودا على ارض المطار وبجوار محطة البنزين التابعة للمطار .

وقد اعترفت اسرائيل ايضا بان قنبلة يدوية قد انفجرت في احد منازل مدينة القدس ادى انفجارها لمقتل شخص وجرح اخر . وعزى الراديو الصهيوني اسباب الانفجار الى ان طفلين كانا يعبثان باحدى القنابل التي وجداها بجوار المنزل .

ان تصاعد ضربات المقاومة الفلسطينيه وعمقها يزيد من حالة التزف التي تتخرجسم الكيان الصهيوني والتي ظهرت في الفترة الاخيرة واضحة من اضرابات اكثر مؤسسات الدولة الصهيونية عن العمل .. حتى اصبحت اسرائيل بشكل عام ، مجتمع بسوده الشلل والاطراف . ولذلك فلا بد من تصاعد هذه الضربات واساسها لانها الرد الثوري الوحيد الذي تكون فيه حركة المقاومة قادرة على فرض وجودها الوطني والثوري امام كل المحاولات الرجعية الرامية الى سلبها هذا الحق وبالذات محاولات النظام العميل في الاردن

■■

في أعماق الأرض المحتلة :

نيران الفدائيين الفلسطينيين: تلتهم عشرة مصانع ومعسكرين للعدو

بواصل رجال المقاومة الفلسطينية نشاطهم داخل الاراضي العربية المحتلة فقد نفذ رجال المقاومة الفلسطينية مجموعة من العمليات العسكرية الكبيرة كان احدى هذه العلميات اشعال النيران في المنطقة الصناعية وسط مدينة تل أبيب ، واشعال الحرائق في غابتين في منطقة شمال فلسطين .

وحول عملية تل ابيب يمكن ملاحظة الاتي:

اولا : ان الفتائل التي وضعت وزعت في اكثر من معمل وفي اماكن مختلفه من كل معمل مما ادى الى احداث انفجارات ضخمة .

ثانيا : ان الانفجارات شملت مجموعة مختلفه من المصانع عكس ما ادعى العدو الصهيوني من ان الانفجارات قد وقعت في بعض ورش الاحذاء ومعامل الورق ..

وقع المنطقة التي وقعت فيها الانفجارات في وسط مدينة تل ابيب في المنطقة الصناعية المسماة « بحلات بنيامين » .

فقد حدث الانفجار الاول في شارع عميك بسرائيل .

وحدث الانفجار الثاني في بحلات بنيامين والثالث في شارع السوق .

وقد اعترف العدو بالعملية واذاع عنها في نفس الوقت الذي كانت فيه النيران ما زالت مشتعلة . فقال :

« تشمل النيران في مجموعة من المعامل والمصانع في منطقة بحلات بنيامين بتل ابيب. وكانت النار قد شبت امس وحاول عشرات من رجال الاطفاء طوال الليل اخماد النار وقد اصيب ستة منهم بحروق ونقلوا الى المستشفى الا انهم ارسلوا الى منازلهم صباح اليوم . هذا ما اورده مراسل « عيتيم » .

وتشمل النيران في المركز المهني القريب من رحوبوت ، عميق يزراعيل ، بحلات بنيامين ، وشارع السوق ، وامتدت النيران حتى الان « ٦/٢٩ » معامل نجارة، مستودعات احشاب ، ومعامل ورق ومستودع كيماوي، ومعمل للصابون . وقطعت شركة الكهرباء عن المنطقة واغلقت الشرطة الشوارع بوجه حركة السير . وتقع المعامل والمصانع في مباني قديمة تساعد على اندلاع النيران بسهولة . كما حضر مهندس المدينة الى المنطقة للوقوف على مدى متانة المباني التي تقع في المنطقة » .

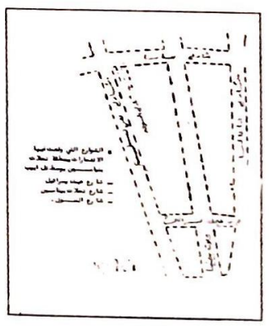

وقد قدرت الخسائر المادية حسب التقدير الصهيوني بحوالي مليون ليرة الا انه وكما يبدو من عدد المصانع التي احترقت والمدة التي استمرت فيها النيران مشتعلة تدل ان الخسائر المادية تقدر باضعاف اضعاف ما اعلنه السلطات الصهيونية .

عملية شمالي فلسطين

كانت لا تزال النيران مشتعلة في المنطقة الصناعة وسط تل ابيب ، اندلعت النيران في شمالي فلسطين بغابتين تعتبران منطقة عسكرية بواجد فيها اضخم المعسكرات الخلفية الاسرائيلية التابعة للقوات الدفعية النعلة وقوات الشرطة العسكرية الصهيونية.

حيث قامت احدى مجموعات الثورة الفلسطينية المواجدة في الداخل بوضع عدة عبوات حارقة في اماكن متباعدة من غابتي بلفور وبيت كشيب القريبتين من مدينة الناصرة .

رسالة السودان :

المعتقلون السياسيون التقدميون في سجون السودان يفضحون ما يتعرضون له من عمليات الإبادة البطيئة

منذ ان نجح حكم الردة في الخرطوم ، والالاف من خيرة مناضلي الشعب السوداني البطل ، يتعرضون لاعتى موجة من القمع الدموي تراوحت بين القتل والسجن والتعذيب والتشريد .. ولا تمضي فترة الا ويستشهد مناضل تحت التعذيب داخل زنزانات الحكم العسكري البغيض .

ومثل هذه السياسة ليست الا الوجه الملازم لسياسة النظام « السوهارتي » العامة .. من حيث وضع مرافق البلاد كلها في خدمة الاستعمار الجديد والرجعية التقليدية وجهاز القمع المتوسع باضطراد . الامر الذي نجم عنه المزيد من تفاقم الازمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في السودان .

واذا كان النظام النميري قد استطاع بتصعيد حملة القمع ان يطمس لوهلة ما ، انعكاسات هذه السياسة وردود الفعل الجماهيري ضدها .. فان الجماهير السودانية البطلة قد اخذت في التمرد على سيف الارهاب لتعبر بالف شكل ووسيلة عن غضبتها ضد هذه السياسة ... فمن اضرابات الطلبة في جميع المعاهد الفنية الثانوية العليا ، ومعاهد تدريب المعلمين والمعلمات، والمعهد الفني ومعهد شمبات الزراعي ، والتي دامت طوال شهري كانون الثاني وشباط من العام الحالي، الى انتفاضة عمال سكة الحديد التي اضطرت السلطة لاستخدام الجيش في قمعها .. كما اضطرتها للاعلان عن حدوثها بشكل من الاشكال في اذاعتها وصحفها الصفراء .

ولقد كان الحزب الشيوعي السوداني الذي يعيش في عمق ضمائر الجماهير السودانية ـ ورغم كل القمع الذي يتعرض له ـ كان في صلب هذه النضالات كلها الى جانب القوى التقدمية والديمقراطية الاخرى. فكانت بياناته توزع في جميع مدن وقرى السودان ، تفضح النظام المأجور واساليبه الفاشية .

وفي هذه الاثناء ما يزال يعيش في سجون حكم الردة النميري مئات المناضلين التقدميين ، يعانون اقسى انواع البطش والقتل والاعدام البطيء.

وقد تلقت « الهدف » رساله ، بعث بها المعتقلون السياسيون من داخل سجون حكم الردة ، يشرحون فيها ما يتعرضون له ، وفيما يأتي نص تلك الرساله :

« تجيء رسالتنا هذه اليكم بعد تسعه عشر شهرا من اعتقالنا ، وفي وقت تسرق سلطه الردة على ابقاء الاعتقال التحفظي كمؤسسة ثابتة لقهر القوى الوطنية والديمقراطيه ومصادرة الحريات العامة بلا سند الا الظن المبهم والجزاءات الفاشلة ، ونعبر لكم فيها ، نحن المعتقلين السياسيين ، عن عمق امتناننا لكافة الاحزاب الشيوعية والتقدمية ، ولكافه القوى السياسية والاجتماعية وستبقى ادرعكم التي امتدت مدافعة عن الحركة الديمقراطية في السودان مصدرا لاعتزازنا بكم ابدا ، سنبقى جمرا نقف عليه معا في سبيل امانينا المشتركة ورمزا لمقدرة الناس الاقوياء بالحق والمهارة والنضال » .

ثم تضيف الرسالة :

ايها الرفاق الاقوياء ..

بفضل نضالكم السديد وضغوط حركة شعبنا وامرنا بشكل خاص اضطرت سلطة الردة ـ وانها راغم ـ لاطلاق سراح الالاف من المعتقلين من كافة سجون مدن واقاليم السودان ، ولم يبق في المعتقلات سوى مئتي معتقل . ولكن لا يمر اسبوع الا ويدخل المعتقل عشرات من اهلنا واشرف ابناء وطننا ، لقد بلغ الطغيان الفاشيم لسلطة الردة مبلغا لم تعد فيه مستطيعة توفير اي قدر من اجراءات العدل او مايشبه اجراءات العدل المتبعة ـ فاما الاغتيال المباشر او الاعتقال المعدود . وفوق ذلك كله لم تدخر سلطة الردة وسعا في تحويل المعتقلات الى مواضع لتعذيب صحتنا البدنية والروحية ، وانت في ذلك من الجرائم الكاملة في حقنا ما فاق كل ما عرفه بلادنا بشأن الاعتقال ، حتى ابان الحكم الاستعماري وحتى في فترة ديكتاتورية الجنرال عبود العسكرية « ١٩٥٨ ـ ١٩٦٤ » وبيان ذلك فيما يلي :

اولا :

فرضت علينا سلطة الردة شروطا مستحيلة ورفض قداحة الخسائر التي لحقت بجسم تلك الحركة الا ان اصواتكم المهيبة والجليله والجسورة ، التي ارتفعت بالمؤازرة للقوى الديمقراطية في السودان قد اجبت عصابة النظام السيء الصيت وحالت دون ان تنجز الردة اهدافها الكاملة في استئصال الحزب الشيوعي والحركة الديمقراطية ، وظلت نواة تلك الحركة معافاة عند مواقع مسئولياتها السياسية والاجتماعية وستبقى ادرعكم التي امتدت مدافعة عن الحركة الديمقراطية في السودان مصدرا لاعتزازنا بكم ابدا ، سنبقى جمرا نقف عليه معا في سبيل امانينا المشتركة ورمزا لمقدرة الناس الاقوياء بالحق والمهارة والنضال » .

ثم تضيف الرسالة :

ايها الرفاق الاقوياء ..

بفضل نضالكم السديد وضغوط حركة شعبنا وامرنا بشكل خاص اضطرت سلطة الردة ـ وانها راغم ـ لاطلاق سراح الالاف من المعتقلين من كافة سجون مدن واقاليم السودان ، ولم يبق في المعتقلات سوى مئتي معتقل . ولكن لا يمر اسبوع الا ويدخل المعتقل عشرات من اهلنا واشرف ابناء وطننا ، لقد بلغ الطغيان الفاشيم لسلطة الردة مبلغا لم تعد فيه مستطيعة توفير اي قدر من اجراءات العدل او مايشبه اجراءات العدل المتبعة ـ فاما الاغتيال المباشر او الاعتقال المعدود . وفوق ذلك كله لم تدخر سلطة الردة وسعا في تحويل المعتقلات الى مواضع لتعذيب صحتنا البدنية والروحية ، وانت في ذلك من الجرائم الكاملة في حقنا ما فاق كل ما عرفه بلادنا بشأن الاعتقال ، حتى ابان الحكم الاستعماري وحتى في فترة ديكتاتورية الجنرال عبود العسكرية « ١٩٥٨ ـ ١٩٦٤ » وبيان ذلك فيما يلي :

اولا :

فرضت علينا سلطة الردة شروطا مستحيلة

ب ـ ولما ادرجنا السلطة بقرار من وزير خارجيتها في قائمه السجن من الدرجه الثالثة ظللنا نعامل نعيشا عجافا مكونا من كوب شاي ووجبتي الفطور والغداء وباسقاط كامل لوجبه العشاء ـ وفي بعض السجون الحصر الغذاء في وجبة واحدة نقدم في منتصف النهار. وقد للحياة البوبه بقصد امتصاص عافيتنا ونعريضنا للموت البطيء بما يتنافى وابسط مواثيق وحقوق الانسان العالمية ومبادئ العدالة والقانون . كان بيننا مئات الشيوخ الذين جاوزوا الستين من العمر ومئات الشباب والطلبة الذين ما بلغوا العشرين من اعمارهم وعشرات النساء المناضلات اللواتي تركن اطفالهن الرضع دون معين ـ كلهم من العاملين في مواقع الانتاج الحديث ، من انبل رجال ونساء وشباب بلادنا ومن اشرف المدافعين عن استقلالها وحريتها كلهم ـ شيوعيين وغير شيوعيين ـ ما غمض لهم جفن في يوم من الايام عن الوقوف بشجاعة امام صفوف شعبنا في النضال بساله في سبيل استقلال وعدم بلادنا ومن اجل الدفاع عن كل الشعوب المحبه للسلام :

١ ـ حشدنا في ميان متافية لكل شرط صحي ففي كوبر ، يكتظ في عنبر مساحه ٩٠ مترا مربعا ، اكثر من خمسين معتقلا ، كما بلغ في مدينة مدني مائة وعشرين معتقلا في عنبر مساحه لا تزيد عن المائة متر مربع . وليس لتلك العنابر نوافذ للهويه . ورغم ذلك فقد اغلقت سلطات الامن ابواب تلك العنابر طوال الاربع وعشرين ساعة على سجون الابيض ونيالا والفاشر وزالنجي وعطبره . ولقد ظل المعتقلون يفرشون الارض امد معاونه تلفت الثلاثة اشهر في سجن مدني واكثر من ذلك في سجون غرب السودان ، ولم تسمح السلطه للاخرين منا باكثر من برش « حصيره » وبطانيين على الارض وعلى هذا الفراش المذل واجهنا تقلبات الفصول وما زلنا نواجهها في العنابر ايه الذكر .

ب ـ ولما ادرجنا السلطة بقرار من وزير خارجيتها في قائمه السجن من الدرجه الثالثة ظللنا نعامل نعيشا عجافا مكونا من كوب شاي ووجبتي الفطور والغداء وباسقاط كامل لوجبه العشاء ـ وفي بعض السجون الحصر الغذاء في وجبة واحدة نقدم في منتصف النهار. وقد

استشهاد عدد من المناضلين تحت التعذيب وإضراب شهر عن الطعام للحصول على مبيد للحشرات

حالت السلطة لشهور عديدة « سنة اشهر بالخرطوم » دون المساعدات العينية التي حاولت اسرنا تبسيرها لنا . وقد ترتب على ذلك كله ان تردت صحتنا بصورة مسارعة وتفشت امراض الملاريا والدسنتاريا والكلى والقلب والضغط والسكر وامراض الرطوبة والجلد ، ولم تقدم السلطة غير خدمات صحية محدوده لاترقى الى خطورة تلك الحالات الا بعد ان دخل المعتقلون في سلسلة من الاضرابات عن الطعام.

استشهاد السجناء :

ان استهانة سلطة الردة الفاشية بحيات المعتقلين بتفاصيل مؤسفة . فقد فرضت السلطة على بعضنا ان ياخذ الحقن من وراء قضبان الزنازين ، لذلك ما كان مستبعدا ان تحمل جراح هذه المعاملة اللئيمة . ومن اثر هذه الجراح اسلم الرفيق عبد الله احمد ابراهيم سكرتير اتحاد المزارعين لجنوب النيل الابيض روحه الطاهرة في سجن الرنك في فبراير ١٩٧٢ ، كما اسلمها الرفيقان عبد الله الحجر ومحجوب حمد بعد مضي اشهر قلائل من اطلاق سراحهما ومن قبلهم وفي اواخر يوليو ١٩٧١ ، استشهد الرفيق مصطفى محمد صالح بعد مطاردة السلطة له وحرمانه الدواء بعد القاء القبض عليه .

جـ ـ وامرت سلطة الردة بوضع النساء المعتقلات في الخرطوم ومدني وخشم القربة وكوستي بسجن الحريم وسط المعتوهات والمومسات والمجرمات ورفضت السماح للمناضلة سعاد ابراهيم احمد برؤية طفلها البالغ من العمر ٣ سنوات علما بان والده ايضا نزيل السجن لمدة عشر سنوات بحكم صادر من « المحاكم » الايجازيه العاملة في يوليو ٧١ كما تعرضت المناضلات فاطمة احمد ابراهيم ونعمات مالك والخنساء صالح عمر وسميرة اسحق لسلسلة من الاهانات الخرقاء ، امتداء من طمس الردة للمواقع التي رصدت رقات ازواجهن الشهداء وانتهاء بوضعهن رهن الاعتقال المنزلي.

د ـ وقد كل ضروب وادوات الثقافة محجورة عنا ، وقد افتتح هذه الحملة الجهنمية الجنرال نميري حيث منع دخول الكتب لنا اثناء زياراته الانتقامية . وبعد سلسلة من الاضرابات سمح لنا بها . امر السلطة بالكتب ولكنه فترض شروطا مستحيلة وقع من جراتها اكثر «الكتب براءة وغفلة في دائرة المحظورات. وحتى «ان تمنع عنا السلطة الصحف « ربما في ذلك صحبها الصفراء البائرة » والمجلات والدمياع والتلفزيون والافلام والاوراق . وبهذا التعقيد العميق الذي تكنه السلطة للاستارة بشكل عام ، ارادت معاقبة المعتقلين روحيا بتجريدهم من كل سبيل للمعرفة ، وقد اسحب اثر هذا التجهيل على الطلاب في كافة المستويات ، اذ حرموا من مواصلة دراسهم داخل المعتقل وحرموا من اداء الامتحانات وتقديم الرسالات للدراسات فوق الجامعية واحبط مستقبلهم في تراثن هذه التدابير المعادية للاستارة والمعرفة.

هـ ـ واعمانا في الاستداد نفت السلطة في ٢٣ يناير ٧٢ اربعة واربعين معتقلا من الخرطوم الى مناطق قصية في غرب السودان لتضيف الى ظروفهم المستحيلة في الخرطوم ظروف النفي والابعاد بما انطوى عليه من نية مبيتة فحرم ٥٠٪ من اسر المعتقلين العاملين بالقطاع الخاص والمهن الحرة من اي مصدر للدخل ، ولا تصلت سلطة الردة من التزامها الذي قطعته في نوفمبر ١٩٧١ للجوئها الى اوامر العمل النفي لعدد من اولئك المعتقلين بقصد اسقاط الاعانة عن اسرهم والقاء كافة الحقوق التي تكفلها لهم قوانين الخدمة المدنية . وقد اتبعت السلطة في ذلك اساليب بالغة الخسة والدناءة اذ عقدت مجالس تاديب ملفقة وغياب المستخدم « المعتقل المين » واصطنعت اسئلةلهم وتطوعت بالاجابة نيابة عنهم لتخلص الى نتيجة فعلهم المنتهاء . ولم تقف حملة التشريد التعسفي على المعتقلين وحدهم بل شملت مئات التقاعيين الشرفاء. ويقف فصل مئتي معلم ومعلمة شاهدا على الظلام يطبق على بلادنا باسم العداء للشيوعية . بل وصلت درجة حمى التشفي بالسلطة ذروتها حين امتدت قرارات الفصل التعسفي الى زوجات بعض المعتقلين ، كما شردت السلطة غالبية الذين اطلق سراحهم باساليب منافية لابسط قواعد العدالة » .

ثم خلصت الرسالة الى القول :

« ايها الرفاق والاصدقاء الاعزاء

نحن نعلم ان احتقاد سلطة الردة علينا ـ كممثلين للحركة الديمقراطية ـ بلا حدود ... احتقاد بلغت عنده هذه السلطة حد الوساوس والسعار ، كصور من الفاعلات الحادة التي تصاحب اخفاقهم في كل المجالات وفي جر بلادنا في طريق التبعية وطريق التطور الراسمالي .

ان احتفاظ سلطة الردة بالمعتقلات وتهيئتها على هذا النحو الشرير ليس غير النسخ المطور من اغتيالاتها الايجازية في يوليو ١٩٧١ . انه اغتيال بمرور الوقت فقط وهذا ما تحاول السلطة ان تخفيه عن الراي العام الداخلي والخارجي . وذلك ـ بالضبط ـ ما نحاول ان نرصده لكم في رسالتنا هذه بشكل مجمل .

فعلى جدار اصوانكم الرهيبة وتضامن قوى شعبنا التقدمية التي تضع قضية حريتنا في اجفان نشاطها اليومي ، وعلى المواقف الباسلة التي وقفتها اسرنا ضدمجازفات السلطة بحياتنا ـ على ذلك جميعا نقف بباس شديد وهلابة لا تعرف الخور دفاعا عن حريتنا ، ونخوض مقاومة متصلة بالشروط المستحيلة التي تحف بحياتنا مما دفعنا للدخول في سلسلة من الاضرابات عن الطعام بلغ مجموعها اكثر من ثلاثين يوما لتحقيق دائرة من المطالب تتراوح بين رفع الحظر عن المناديل الورقية الطبية وتوفير المبيدات الحشرية ، حتى اطلاق سراحنا .

وسنظل نناضل في سبيل صيانة حياتنا وانتزاع حريتنا بوصفهما امكانيتان وهناهما دائما لخدمة شعبنا وبلادنا . وما نحسبنا نضيف جديدا ان اكدنا تدابير النظام الذليل لن تمس اصرارنا الثابت على توطيد بلادنا في طريق التقدم وفي نطاق الانسانية الغدمية .

مرة اخرى نرجو ان تقبلوا تقديرنا واعجابنا واحترامنا . وسيبقى ما بذلتم في سبيلنا نحن بالذات ، وفي سبيل قضية الديمقراطية والسلم ، وذكرى خصبة في وجداننا بجدارة العالم الاشتراكي الجديد الذي يولد من نضال الشعوب » . ■■

ثورة الشعب

احتفلت في الخامس من شهر تموز الجاري ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية بالذكرى الحادية عشرة لاستقلالها من نير الاستعمار الفرنسي الذي دام مائة وأثنين وثلاثين عاما «(١٨٣٠ ـ ١٩٦٢)» وقد جاء الاستقلال في سنة ١٩٦٢ بعد ثورة مسلحة استمرت طوال سبعة أعوام ، ليكرس الانتصار السياسي لجبهة التحرير الوطني الجزائرية على القوى التي كانت، في فرنسا والجزائر تقود احدى اخر المعارك للحفاظ على الامبريالية الفرنسية .

لقد دفعت الثورة الجزائرية التي انطلقت في سنة ١٩٥٤ ، بعد حالة غليان مستمرة، وسلسلة من الانتفاضات الثورية منذ الايام الاولى للغزو والاحتلال الفرنسي ، دفعت فوق المليون شهيد من مدنيين وعسكريين ثمن انقاذ الوطن ومستقبل الشعب الجزائري ، وكانت في انتصارها ، انتصارا لكفاح الامة العربية من اجل التحرر والاستقلال الوطني الحقيقي .

وفي ليلة اول تشرين الثاني سنة ١٩٥٤ اعلنت الحركة الديمقراطية ـ بلا حدود ... هجومية قام بها رجال جيش التحرير بمختلف انحاء الجزائر ، معلنة مولد العنف الثوري في وجه الطغيان والسيطرة الاستعمارية .

وشاهدت فترة السنتين التاليتين امتدادا واسعا للثورة وتصاعدا فخما في حجم عملياتها العسكرية ، كان دليلا على نمو جيش التحرير الوطني ، وقد تمكن من تحرير اجزاء واسعة من البلاد وضمته وجها لوجه امام قضية ادارة هذه المناطق وقضية الدفاع عنها وعن سكانها وكما كان على جيش التحرير مد الشعب في هذه المناطق المحررة بجميع وسائل الخدمات الادارية من تعليم ، وغذاء ونمبئة وتنظيم ، فان هذه الادارة للمناطق قد افرزت نوعا من العلاقات الجديدة ـ الاشتراكية العفوية بين المواطنين انفسهم .

اما على صعيد التعبئة ، فقد شاهدت المناطق غير المحررة بروز ظاهرة الفلاح الذي يتحول ليلا الى مقاتل ، او ظاهرة المقاتل الذي يتحول نهارا الى فلاح يعمل في الارض وخلال السنوات السبع التي دارت خلالها اعنف المعارك ، كان هناك عشرات الالاف من المقاتلين من جنود جيش التحرير منتشرين في كل مكان في الارياف والجبال الجزائرية يقدمون تحديا فائق توقعات قوات المستعمر الفرنسي المسلحة.

وبالاسلوب الجزائري لحرب العصابات تمكنت قوات جيش التحرير الوطني بسلاحها البسيط ان تحقق انتصارات ساحقة على قوات الاحتلال الفرنسي المدججة باحدث الاسلحة والمدفعية الثقيلة والطيران ، وتمكنت برغم حجم قواتها الضئيل نسبيا ، من شل جيش فاق حجمه ٨٠٠ الف جندي مدرب .

اساليب القتال

وهنا تتوجب الاشارة الى انه في الثورة الجزائرية كان للعمل الثوري المسلح صيغا عديدة . كانت هناك مثلا ، الجابهة العسكرية المباشرة ، والتصفية الجسدية الفردية للعناصر الاجنبية المعادية ، وللعناصر المتعاونة مع المستعمر . وكانت هناك الاعمال التخريبية التي استهدفت تعطيل العدو ، مثل نسف الجسور وقطع الاعمدة الكهربائية والاسلاك الهاتفية ، وما شابه ذلك .

كما كانت هناك المقاومة السلبية التي تمثلت في الاضرابات وفي رفض اوامر العدو . الا ان هذه النشاطات القتالية لم تكن تتخذ في كل المناطق وبصورة متشابهة . فالمقاومة داخل المدينة كانت تتخذ طابعا مختلفا عن المقاومة في الجبال ، كما ان الاهداف السياسية للعمليات العسكرية في المدن كانت تختلف عن امثالها في الريف الجزائري .

لقد كانت الاهداف الرئيسية لقوات الثورة في المدن ، تتمثل في تصفية الخونة من المتعاونين ، والمستعمرين الذين كانوا يبطشون بالمواطنين الجزائريين ، وفي تخريب المؤسسات والاماكن ، التي يشكل وجودها دعما للوجود الاستعماري . وكانت الغاية من تنشيط العمل الفدائي « النشاط الثوري في المدن » يستهدف ايضا ابراز وجود الثورة في المدن ونشر القناعة بان الثورة موجودة في كل مكان ، بالاضافة الى الاهداف المباشرة المحددة للعمليات . وبالاضافة الى صفة الحرية والدقة التامة التي تميزت بها عمليات المدن ، وقد ساعد التشكيل الهرمي لخلايا الفدائيين على استمرارية الثورة داخل المدن . فان الصفة التي تميزت بها ايضا العمليات الفدائية داخل المدن كانت الاختفاء بالشعب ، مما جعل سلطات الاحتلال ترتاب بكل جزائري وتتوقع انطلاق الرصاصة من اي مكان وفي اي وقت كان .

وبينما كانت عمليات المدن تستهدف اثبات وجود الثورة في كل مكان ، فان عمليات الجبال او حرب العصابات في الريف ، كان المقصود منها الحاق الهزائم الفادحة بقوات العدو ، والدفع به الى الهزيمة النهائية . وكانت المعارك والاشتباكات تختلف باختلاف المناطق .

الانتصار

وبعد سبع سنوات من الكفاح المسلح الثاري الذي كانت تواجه قوات جيش التحرير الوطني الجزائري ، جيشا استعماريا قوامه ٨٠٠ الف جندي ، تمكن الشعب الجزائري من انتزاع تسليم المستعمر الفرنسي بهزيمة في الجزائر واعترافه بحق هذا الشعب المشروع بتقرير مصيره . ولم تستطع لا فائقات القنابل ولا المنظمات الارهابية السرية الفرنسية من كسر ارادة الشعب الجزائري في التحرر والاستقلال وقد حرصت قيادات الثورة حتى عند ابتداء مفاوضات ايفيان في سنة ١٩٦٠ ، على استمرار المعارك حتى لا تفقد موقع القوة على طاولة المفاوضات . واستمرت المفاوضات حتى اذار ١٩٦٢ عندما توصل المتفاوضون الى الاتفاق على وقف اطلاق النار . وفي تموز ١٩٦٢ ، جرى الاستفتاء الذي صوت فيه الشعب باكمله الى جانب الاستقلال ، وارتفع في ٥ تموز العلم الجزائري للمرة الاولى في الجزائر بعد ١٣٢ سنة من الاستعمار .

حصيلة اعوام ما بعد الاستقلال

وحصيلة العمل الدؤوب خلال الاحدى عشر

الثورة الجزائرية المنتصرة في عامها الحادي عشر

الجزائري مستمرة لإنجاز وتطوير الاستقلال الوطني

عاما على الاستقلال ، في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية للنهوض بالبلاد نحو الانجاز الفعلي لاستقلالها السياسي والاقتصادي هي الدليل على استمرارية عزم الشعب ، الذي ناضل اجيالا وخاض ثورة مسلحة قدم فيها المليون شهيد ، على البقاء والاستمرار والسير على طريق انجاز مهمات مرحلة تحرره الوطني الديمقراطي .

منذ كانت الجزائر عند نهاية الحرب الاستعمارية على حافة الهاوية الاقتصادية فبالاضافة الى الشهداء والمصابين ، فقد اقتلعت هذه الحرب الطبقة الفلاحية وشتتتها، وخرج من معسكرات التجميع مليون فلاح ، عادوا الى قراهم ليجدوها ممسوحة من الوجود وليجدوا الحقول بور والقطعان مبادة . واجتاز الحدود المغربية والتونسية ٥٠٠ الف لاجيء .

وكان هناك اكثر من مليوني عاطل عن العمل واكثر من نصف السكان كانوا بحاجة الى الغون والتجدة . كما كانت اكثر من مليون هكتار من اجود الاراضي الزراعية مهجورة ، كما كانت المؤسسات والادارات خاوية .

فقد كان الفرنسيون والاوروبيون الاخرون الفاطين الجزائر ما يكن للجزء الاساسي من وسائل الانتاج ، في الزراعة والصناعة والنقل كذلك الامر بالنسبة لتجارة الجملة والمصارف. كانوا يملكون ٤٠٪ من الاراضي المزروعة و ٨٠٪ من المشاريع الصناعية ، و ٩٠٪ من الملاكات العليا ، و ٨٠٪ من المهن الحرة .

لذا رافق استقلال الجزائر اضطراب هائل في البنى الاقتصادية والاجتماعية . كانت الجزائر تنزف بمناطقها الزراعية البائسة وبؤس مدنها المتفاقم بتاثير الكساد وباكتها وبازمتها الاقتصادية والادارية المفككة . وكانت تراهنة الثورة المضادة على انهيار الجزائر المستقلة وسقوطها مجددا بين مخالب الاستعمار الجديد . ولكن ثورة الشعب المضطهد المحروم، ولدت الطاقة وارادة الاستمرار والبقاء ، وخوض مرحلة التحول في التنمية والتقدم الاجتماعي اللازمة لهذا البقاء والاستمرار .

ومسيرة الثورة الجزائرية المنتصرة لانجاز وتعزيز الاستقلال الوطني ، خلال السنوات الاحدى عشر من عمرها ، شهدت استرجاع الشعب الجزائري لثرواته الوطنية وتاميم القطاع المالي والصناعي والتجاري ، وتفجير الثورة الزراعية في الريف والثورة الصناعية الاساسية ، كما شهدت مباشرة عمليات تطوير وتنمية مناطق الواحات والاوراس والقبائل الكبرى ، والتوجيه العلمي والتقني للتعليم ، بهدف الانعتاق الكامل الاجتماعي والاقتصادي من الميراث الاستعماري .

ان التبعية الاقتصادية التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال قد زالت . فالبترول اصبح تحت سيطرة الدولة الكاملة ، واصبحت الجزائر تتحكم بمحروقاتها من الحقل الى المرفا مرورا بالمعمل . اما المناجم فهي بدورها اصبحت ملكا للشعب، والثورة التي شملت الميدان الصناعي قد شملت ايضاالميادين الزراعية والتعليمية .

واذا كان سير التنمية الاقتصادية والتقدم الصناعي ، بطيئا في السنوات الاولى من الاستقلال ، الا ان هذا لم يقلل من عزيمة القيادة الثورية من ان تضاعف جهودها على اساس القناعة الثابتة بان الصناعة هي الركيزة الاولى والاساسية لتحقيق عملية التنمية . وبذلك اقيمت الصناعات الوطنية التي من شانها ان تمكن من استخدام الجزء الاكبر من المواد الوطنية الخام ، وتؤمن للبلد نموا اقتصاديا سليما .

وامام السؤال الاساسي : من اين نبدا ؟ السؤال الذي واجه معظم البلدان النامية ، اختارت الجزائر العمل على تركيز قواعد الصناعة الثقيلة على البدء بالصناعات الخفيفة والاستهلاكية ، فوضعت المخططات وبحثت عن مصادر التمويل ثم شجعت اعمال استخراج الموارد الطبيعية الوطنية . فوضعت اولا المخطط الثلاثي « ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ » ثم قامت بعد ذلك بوضع المخطط الرباعي « ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ » . واذا كان المخطط الثلاثي قد ركز على احصاء الموارد الطبيعية للبلاد ، وعمل على وضع المشاريع المستعجلة والتي من شانها المساعدة على وضع اي مخطط واسع ، فان المخطط الرباعي قد ركز بصورة اساسية على الصناعة بحيث خصص ٤٥٪ من مجموع استثمارات المخطط الرباعي ككل للصناعة .

وقد كان الاختيار الصناعي نتيجة دراسة وتحليل لاوضاع الجزائر الخاصة ، والتي اظهرت انه ليس من سبيل الا باعتماد سياسة التصنيع الثقيل الذي من شانه تامين مستوى اعلى من الدخل القومي بعيدا عن الضغوط والتاثيرات الخارجية ، والاعتماد كليا في تمويل مشاريعها الصناعية الطموحة بنفسها . ولهذا دفع افراد الشعب الجزائري ثمنا غاليا بسياسة تقشف قاسية ، ولكنها مثمرة.

وتقوم الاستراتيجية الاقتصادية الجديدة التي خطط لها بدقة ، على ضرورة تسخير كافة مشاريع التنمية في اتجاه واحد « زراعة، صناعة ، تجارة » وعلى اساس ان كل فرع من فروع الاقتصاد يجب ان يكون منسجما ومكملا لغيره . فالقطاع الزراعي مثلا ، يجب ان يستفيد كثيرا من القطاع الصناعي ، بما يوفره هذا الاخير من مواد مصنعة تستعمل في الزراعة . كذلك الامر باستفادة الصناعة من القطاع الزراعي . ولهذا ركزت برامج التخطيط بصورة خاصة على التعليم ، وخاصة على التعليم التقني وتكوين الكوادر الفنية العالية الكفاءة ، مما ساعد الجزائر على سد حاجتها نسبيا من اليد العاملة الماهرة .

وقد تثبتت فعالية هذه الاستراتيجية خلال السبع سنوات ، وذلك في توصل الجزائر الى السيطرة الكاملة على جميع مرافقها الاقتصادية ، وتحقيق انجازات ضخمة على الصعيد الاقتصادي، كما انها قد حددت لنفسها موعدا سنة ١٩٨٠ ، لتخطي مرحلة التخلف ودخول مرحلة الدولة المتطورة في عالمنا المعاصر، غارية في ذلك ارقاما قياسية .

وقد اولت الجزائر اهمية خاصة لمسالة البحث والتنقيب على الثروات الطبيعية . فالى جانب البترول والغاز الطبيعي ، هناك النحاس والحديد والزنك والرصاص والفوسفات والرخام وحجر التونياء والفحم الحجري . وكانت هذه الثروات بالرغم من توفرها تعود في معظمها الى شركات اجنبية ، مما دفع القيادة الى التامين لاسترجاع هذه الثروات وجعلها تحت سلطة الدولة . فامنت المناجم سنة ١٩٦٦ ، وانشات الشركة الوطنية للابحاث واستغلال المواد المنجمية سنة ١٩٦٧، مما ساعد ايضا ، على اكتشاف احتياطي جديد من المواد المعدنية . وقد وضعت لكل هذه المعادن المكتشفة حديثا مشاريع خاصة ستستثمر فيها .

وهناك من جهة ثانية ، تطور الصناعة الميكانيكية ، التي تعد جميع القطاعات بما تحتاجه من المواد المصنعة ، وتساعد ايضا في تجهيز مختلف القطاعات الاقتصادية بالهياكل المعدنية اللازمة للاستثمار ، توفير المضخات والجرارات والصمامات وغيرها ، للفلاحة . هذا بالاضافة الى المصانع العديدة التي تضمها الشركة الوطنية للصناعات الميكانيكية ، ومن بينها مصانع الجرارات والمحركات، والسيارات والدراجات والالات الفلاحية .

وهناك من جهة ثالثة ، تطور الصناعات التركيماتية الهامة ، بحيث انشئت مصانع الامونياك والاسمدة الازوتية والاسمدة الفوسفاتية ، والميثانول والراتينج بالاضافة الى مصانع التكرير .

ولكون صناعة الصلب تعتبر المحور الرئيسي للصناعة الثقيلة ومعاد الاستقلال الاقتصادي ، فقد انشات الجزائر الشركة الوطنية للصلب والحديد سنة ١٩٦٤ ، وحددت مهمتها في وضع سياسة الدولة في مجال التعدين موضع التنفيذ . فانشئت المركب الصناعي بالحجارة قرب عنابة ، الذي يعتبر نواة لصناعة التعدين في البلاد . وبفضل هذا المصنع اصبحت معظم الانشاءات الصناعية تجد ما تريده من الصلب والحديد .

ولم تغفل القيادة ضرورة انشاء صناعة الالات الكهربائية والالكترونية للحاق بركب الحضارة في عصر الالكترون. لهذا تركز العمل على احداث سلسلة من المعامل تقوم بصنع وتركيب الالات الكهربائية والالكترونية، ونسعى لتدارك النقص في هذا المجال ، بصورة تدريجية .

ومن جهة اخرى ، تطورت الزراعة تطورا ملحوظا ما بين ١٩٦٢ و ١٩٧٢ . وكانت القيادة قد باشرت بسلسلة من الاصلاحات الزراعية ، فجمعت بعض قطع الاراضي الصغيرة ، وانشات عليها تعاونيات زراعية متكاملة ، ووفرت الالات والبذار الجيدة ، وبذلت مساعي كبيرة لتوفير اكبر عدد ممكن من المرشدين الزراعيين ، وانشات المركز الوطني للابحاث الزراعية ، وعددا من معاهد التكوين الزراعي في انحاء البلاد ، بالاضافة الى بناء عدد من القرى النموذجية وتقديم القروض للفلاحين للارتفاع بمستواهم الحياتي والزراعي .

وفي الثامن من تشرين الثاني ١٩٧١ ، صدر قانون الثورة الزراعية الذي حدد بموجبه العلاقة بين الارض والانسان . وبناء على هذا القانون افتتح صندوق الثورة الزراعية الذي اشرف على عملية مراقبة وتوزيع الاراضي . وقد نص القانون على مصادرة جميع الاراضي المملوكة من قبل اشخاص لا يقومون باستغلالها بانفسهم ، كما ينص على تحديد ملكية اولئك الاشخاص الذين يملكون مساحات كبيرة من الاراضي . ورفعت القيادة شعار الثورة الزراعية : الارض لمن يفلحها ، وبهذا اعادت الثروات وجعلها تحت سلطة الدولة . فامنت المناجم سنة ١٩٦٦ ، وانشات الشركة الوطنية

حكومة "كل لبنان"

أم حكومة إنقاذ نظام

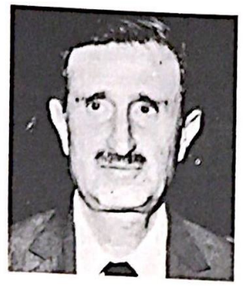

.. « حكومة امر واقع مع جنبلاط في الداخلة او حكومة من الكل التي تؤلف الاكثرية ، او حكومة اكسترا لا تشكل تحديا لاحد » .

هذه هي دوامة الاستشارات ، التي دار فيها الرئيس المكلف نقي الدين الصلح ، ودارت فيها القوى السياسية المواجهة في الساحة اللبنانية من يمينية ويسارية ، عدا عن دور السلطة في تحديد اتجاهات الرئيس المكلف وفي الضغط على القوى اليمينية وبعض الكتل النيابية لاعلان مواقفها المعارضة لاي اتجاه لاشراك القوى الوطنية في الحكم وبالتحديد اعضاء وزارة الداخلية لظرف وطني يصعب على السلطة املاء الشروط عليه والتدخل في شؤون وزارته .

اسباب الازمة الوزارية

لا شك ، ان اسباب الازمة الوزارية التي مر ويمر بها لبنان منذ اكثر من شهر تقريبا، لا تعود فقط الى الحساسيات الذاتية والمواقف الفردية ونشنجات الكتل النيابية ، بل العكس تماما ، اي ان تلك الحساسيات والمواقف المتشنجة ليست الا نتيجة لازمة عامة يمر بها النظام اللبناني تحت راية سلطة تتجه نحو الفرد بالحكم على حساب توازن القوى الداخلية في لبنان ، التي كانت طوال العهود الماضية القاعدة الاساسية لتشكيل الوزارات وتوزيع الحقائب .

وبسبب اختلال ميزان القوى الداخلي من جهة وبسبب اتجاه السلطة نحو الفرد بالحكم ولو على حساب حلفائها من الاقطاع السياسي من جهة اخرى ، ادى هذا الاختلال في تقييم مقياس ومعيار « المشاركة » من كونه مشاركة كتل نيابية تعكس اوضاع البنى الاجتماعية المتداخلة والمتشابكة في لبنان الى كونه مجرد استقطاب فردي يشد الاكثرية النيابية الطامعة في الحكم لمصلحة اتجاه احادي البعد يهيمن على السلطة .

طبعا ، ان التمثر المتواصل من قبل السلطة لايجاد مخرج سريع للازمة الوزارية الحالية ، ولتشكيل حكومة تتوزع فيها الحقائب على حسب توزع وتشنت الكتل النيابية ، ليس سببه فقط التناقض الحاصل الان بين اتجاه السلطة في المثل في الكتل النيابية لاعادة تأكيد نفسه او حكومة « القطاب » من جهة اخرى . بل هناك ايضا عوامل سياسية جرت في الساحة اللبنانية اخيرا اثرت ولا تزال على الوضع الداخلي وعلى توازن القوى السياسية داخل البلاد وفي الحكم نفسه .

اذ ان عدوان ١٠ نيسان ادى الى سقوط صائب سلام وذهاب حكومة القمع الطبقي ، التي ولدت نقمة جماهيرية عارمة تتوجت بالتظاهرات المفوتة والمنظمة طوال الفترة التي تلت العدوان الاسرائيلي على بيروت وبداية تنفيذ مؤامرة التصفية في ايار الماضي . وطبعا ان الحالة السياسية وهيجان الجماهير اللبنانية والفلسطينية عقب العدوان ، فرضت على السلطة اتخاذ قرارها في اليده بتنفيذ مؤامرة الصفقة ، ولذلك جاء امين الحافظ وجاءت حكومته الصمغ لتكون مجرد اداة لتنفيذ طعنة بسد السلطة لضرب المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية . الا ان السلطة وحكومة تنفيذ المؤامرة فشلا في تحقيق المهمة نتيجة اصطدامهما بصمود المقاومة من جهة اولى وبلاحم الجماهير الفلسطينية واللبنانية في معركة واحدة من جهة ثانية وبروز دور الحركة الوطنية اللبنانية واصدقائها في الوطن العربي كقوة ضغط ودعم من جهة ثالثة . امام هذا الواقع الذي لم تكن تنتظر السلطة ان تصطدم به بهذا الشكل ، وامام هذه المفاجاة ، توقفت السلطة عن تنفيذ المؤامرة ، وتأجيلها الى امد ربما كان (طويلا) او قصيرا ، حتى تهيء نفسها اكثر للضرب فرصتها وفق شروط عربية ودولية افضل ، تسهل مهمة التصفية دون تعكر جو العلاقات اللبنانية ـ العربية واللبنانية ـ الدولية .

اذن ، لقد اجلت السلطة تنفيذ قرارها المخطط بصفية المقاومة وانصارها من قوى وطنية وتقدمية ، الى وقت يكون فيه ميزان القوى لصالحها . ولكن السلطة اردت على نفسها من جديد باعادة حكومة الحافظ مرة ثانية الى الحكم وفق شروط جديدة وخطة جديدة . الا ان السلطة تعرضت ايضا الى هزة سياسية جديدة ، لانها لم تكن تتوقع ان تترك احداث ايار الدامية مثل هذه النتائج السلبية في الساحة اللبنانية ، اذ قامت فورا عقب احداث ايار وعقد عودة الحافظ الى الحكم من جديد حملة سياسية من قبل بعض الكتل النيابية وانصارهم من قوى اجتماعية لبنانية معينة على المطالبة بالمشاركة في الحكم وليس الاشتراك في الحكومات فقط .

وطبعا كانت المشاركة تعني بالنسبة للاقطاع السياسي ، هي مشاركة للاقطاع السياسي المقابل في الحكم على حساب الجماهير الكادحة وفي الوقت نفسه ضد اتجاه الفرد في السلطة الذي كان ويسكون على حسابهم . بينما كان المشاركة عند بعض القوى السياسيه الوطنية ، تعني تحقيق المطالب الديمقراطية ـ والطبقية على اسس وطنية تعتمد الحفاظ على المقاومة الفلسطينية والتعاون والانفتاح العربي وافساح المجال الديمقراطي للعمل السياسي في لبنان ، اي بكلمة اخرى كانت المشاركة تعني للقوى الوطنية هي تحقيق الديمقراطية الشاملة لصالح الجماهير اللبنانية ، هذا مع علمهم ومعرفة القوى الوطنية بان الديمقراطية الشاملة لا تتحقق الا ضمن سلطة وطنية منبثقة من واقع الشعب اللبناني ، لا بأوامر صادرة من الخارج .

وامام هذه الحقيقة السياسية الواسعة والممتدة الاطراف ، سقطت حكومة امين الحافظ وسقط بالتالي اي امكانية آنية لاستكمال عملية الصفية والشروط الاميركية ـ الاسرائيلية التي اعلنها على السلطة بعد حصول اعتداء بيروت .

الازمة تعود من جديد

بعد فشل حملة ايار ، عسكريا ، وبعد فشلها في تحقيق اي مكسب سياسي على الاقل ، وخاصة فيما يتعلق بسحب « الهدنة القاهرة » الى صفوف نضالات الجماهير اللبنانية والفلسطينية طوال عام ١٩٦٩ . وبسبب فشل اهداف حملة ايار ، عسكريا وسياسيا ، واخلال توازن القوى في الساحة اللبنانية ، حاولت السلطة تكليف تقي الدين الصلح اعادة هذا التوازن ضمن مهلة محددة وغير طويلة .

اذن ، فتكليف الصلح والحكومة التي ستأتي معه ، هدفها الاساسي ، وشعارها الاول ، هو « الهدنة الوطنية » و « الهدنة المؤقتة » بين اطراف القوى السياسية في لبنان من جهة وبين اجنحة السلطة من جهة اخرى ، دون ان تؤدي هذه « الهدنة » و « الهدنة » الى استعادة الحركة الوطنية لمواقعها شبه المتقدمة التي بدأت بخسارتها عقب الاعتداء الاسرائيلي في ١٦ و ١٧ ايلول من العام ١٩٧٢ ، وهنا تفهم بالضبط الاسباب الحقيقية لاصرار السلطة اولا والقوى اليمينية ثانيا والكتل النيابية الرجعية ثالثا على وضع « الفيتو » على امكانية مجيء جنبلاط الى وزارة الداخلية ، وخاصة ان جنبلاط يضع شروطا ديمقراطية لاشتراكه في الحكومة كانت قد ناضلت الحركة الوطنية طوال العام الحالي لتحقيقها فجوهب بالقمع والارهاب الطبقين والمخادل الوطني الجبان امام العدو الصهيوني والهجمة الامبريالية الاميركية على النفط ، والخضوع الكامل للسياسة الرجعية العربية وفي طليعتها السعودية والاردن .

هذه هي الاسباب الحقيقية للازمة الوزارية التي يمر بها لبنان ، وللفيتو الذي تضعه القوى الرجعية واليمينية بادارة السلطة وباجاز منها على تمثيل الحركة الوطنية باحد اطرافها ، وخاصة ان وزارة الداخلية تلعب دورا حساسا في مثل هذه المرحلة ، اذا ما جاء كمال جنبلاط على راسها .

وهكذا ، نرى بان حكومة « كل لبنان » على حد تعبير الرئيس المكلف نقي الدين الصلح ، ليست بالفعل حكومة « كل لبنان » وليست ايضا حكومة لبنان نفسه ، بل هي في الواقع مجرد حكومة الهدنة المؤقتة ، هدفها الاساسي انقاذ النظام من ازمته السياسية التي وصل اليها بعد الاحداث الدموية الاخيرة ، نتيجة التفرد بالسلطة والتخادل الوطني والقمع الطبقي ، الذي يطبع هذا العهد منذ قيامه حتى اليوم ، والذي بدا يشكل السمة العامة لهذا النظام المنصف بسلطة ذات رقعة ضيقة وهامش ضعيف للاصلاح او حتى للقبول بطرف اصلاحي من الحركة الوطنية التي بدات تاخذ دورها السياسي ، ليس كمعارضة من خارج النظام كما كان يقول اليمين اللبناني بل كمعارضة من داخل « لعبة » النظام الذي اختل توازنه بشكل فاضح في المدة الاخيرة .

يبقى سؤال اخير ، وهو ان مطالب الحركة الوطنية الديمقراطية ، التي ناضلت ولا تزال من اجل تحقيقها ، هي في الاساس محور نضالات الجماهير اللبنانية الكادحة ، وانطلاقا من المطالب نفسها اصرت الحركة الوطنية على اشراك احد اطرافها بالحكومة ، وليس العكس ولذلك فان استعادة مطالب الحركة الوطنية الديمقراطية واعادتها الى الساحة السياسية والنضال من اجلها من جديد ، هو ضرورة ملحة ومهمة اولية ينبغي القيام بها ، وهي الرد الشعبي الوحيد على اتجاه التفرد بالحكم وعلى سلطة التخادل والقمع ■■

دور كل من روبرت نجيمي وشارل مالك في الجامعة الاميركية

تصعد ادارة الجامعة الاميركية في مؤامراتها على الحركة الطلابية فيما على ركيزتين ، الاولى القوى اليمينية الرجعية والطائفية الاجنبالية الثانية تتمحور حول كل من روبرت نجيمي وشارل مالك وتعاونه مع الادارة ، وذلك بعد اعتراك عنيف بين الطلاب السائق سمة الاعتراك الكثير الذي اعلنه مجلس الطلبة منذ ثلاث سنوات .

والاساتذة حوف نجيمي بصير الوسط ما بين الادارة والطلاب حسب نص دستور الجامعة ، الا ان عمله تحول في المدة الاخيرة من دور الوسيط الى دور العمل للادارة . فهو واحية رئيس الجامعة كيركود ، حيث نظر الجامعة على الطلاب من خلاله ، فيعرض مشاريعها ويدافع عن سياستها ويبرر قمعي لدعتها في شؤون الطلبة ، كما انه يصبر اتهام اقدام الجامعة على رفع اقساط الدراسة بنسبة تتراوح ما بين ١٠ و ٢٠ ٪ ، واردوان اهمية « عدالة » الطلاب في مجلس الطلبة السائق واعادة تكوينه على اساس الصوت الذي طرحه رئيس الجامعة الدكتور كركود . وبعد انتهاء مجلس الطلبة في العام الماضي واعادته على اساس الدستور الجديد بعد فك الحصار عنه المفروض على المجلس السابق ، احتد نجيمي بالتدخل المباشر في عمل الطلاب واتجاهاتهم . اذ انه بناء على الدستور الجديد ووفقا له ، اصبح من حق له حضور اجتماعات مجلس الطلبة وطرح المسيح التي تتكرها ادارة الجامعة محاولا فرضها على الطلاب ، كما حصل في الجمعية العمومية الاخيرة التي جرت بين الطلاب لمناقشة مسالة زيادة الاقساط ، اذ اجرى نجيمي الطلاب للدفاع عن اساسيات رئيس الاقساط ، وبالتالي وقف بجانب الادارة ضد الفئات التي تناقض مصالحها مع المشروع الجديد ، وهذا تحول الاستاذ نجيمي من كونه « عميدا » للطلاب الى كونه « عميدا » للادارة .

اما الدكتور شارل مالك ، فهو اشهر منا ان يعرف ، فهو الى كونه يحمل عدة شهادات دكتوراه « فخرية » منحته اياها السفارة الاميركية باعجاز من الجامعات الكبرى في الولايات المتحدة ، والى جانب كونه « دعاية سياحية » لوجه لبنان الحضاري في الخارج ، فهو ايضا بصير « سفير » اللاه في الشرق الاوسط و « حامية » الصهيونية والحربة والديمقراطية الاميركية المصدرة الى امم العالم ، والاسلحة الفاتكة لاسرائيل وعمر الدولارات لعملاء اسرائيل واميركا .

ولون الدكتور الفيلسوف مالك ، بحمل كل هذه المواهب وكل تلك الامكانيات التي لا تقدر بالدولارات ولا بالشهادات الفخرية ، فلقد تسنه الولايات المتحدة وامتزنه انها الشرعي وسعر الفكر والفلسفة الاميركيين في الشرق الاوسط ، وهذا ما عبر عنه بكيون منذ ثلاث سنوات في حفلة شاء ان شرف شارل مالك . اذن اميركا تظن من خلاله على شعوب المنطقة ومن على سدره تحاضب النخبة المثقفة في الوطن العربي والعالم طلاب الحامعة الاميركية ، على اساس كونه استاذ للفلسفة وعضو مجلس الشيوخ لادارة الجامعة . فهو من جهة يقدي التيارات اليسيرة اطلاقا من مواقع طائفية العراقية ، وفي محاضراته ، يدافع عن اميركا ومشروعها تلدا غير استعماري ، ويخرص على الاتحاد السوفياتي وشجم بياسته من جهة اخرى . ويصير اميركا في محيل كيانه ، انها رمز الحضارة الغربية المسيحية وامتدادا فسما ديمقراطيا للحضارة اليونانية الرافية ، الى آخره من الدعايات المشوهة لمعدوبا الامبريالي الاميركي .

وفوق الظن بله ، راينا في المدة الاخيرة ، هذا الشارل الفالك وقبل سفريه الاخيرة مصبة احداث ايار لعند اسياده الاميركيين ، يتدخل بشكل سافر في الاحداث السياسية وفي المعارك الحارية في الساحة اللبنانية مختلف شانها واطرافها ، ويدور ان الدور الحديد الذي يحاول شارل مالك عمه بشكل بارز يعود الى ازدياد شراسة الحملة الامبريالية والصهيونية بقرض الحل السلمي بالشروط الاستسلامية الاسرائيلية على الوطن العربي . وبالتالي على كل خيوط المؤامرة ان تتحرك سوية لتعديد هذه الشروط ولذلك الاستسلام .

اذ ان شارل مالك في الاصطدامات التي جرت في الجامعة الاميركية قام بدور بارز في تحريض الفئة اليمينية وحثها بالعقد والكراهية الشديدة لكل القوى الوطنية المدرجة وملك عند المض ، انهم قاموا بتعبئة اسرائيل واميركا والتهجم على العرب والفلسطينيين ، مما ساهم في ازدياد حدة التوتر وحصول الاشتباك بعد استعمال مثل هذه العبارات المهينة لكل لبناني وعربيه . ولم يكف مالك في تحريض الطلاب سياسيا ، بل حاول الاشتراك معهم في الاصطدام الدموي ، مقدما ارشاداته وعارضا نصائحه لاكمال المعركة ومتابعة الاشتباك في اليوم التالي ، لان اسلافه الاميركيين لهم مصلحة في ذلك ، لتشويه سمعة الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية .

الأزمة مستمرة

مساء الخميس ٦/١٤ كان الحافظ يتوجه الى القصر الجمهوري . كان ما يزال دولة الرئيس . اختلى برئيس الجمهورية حوالي الثلاث ساعات وخرج في التاسعة مساءا ليعلن : « قدمت استقالة حكومتي الى الرئيس فرنجية » . وانتهى بذلك فصل مثير من فصول السياسة اللبنانية ، وبدا فصل مثير اخر .

ما الذي يمكن استخلاصه من تجربة الحافظ ؟

اشياء كثيرة ... من بينها بالتاكيد ، انه لا يكفي ان يكون المرء طيبا او حتى مثقفا فيما يكون سياسيا وطنيا ، عليه قبل كل شيء ان يكتشف اتجاه تطور الاحداث ومحتوى الصراع وان يتواجد « تحت » مع القوى الحقيقية صانعة الغير ، وليس « فوق » ، ولكن الحافظ مكث « فوق » اكثر مما يجب ، راهن على « بعبدا » اكثر مما راهن على بيروت وطرابلس وصيدا وغيرها وغيرها من المناطق التي كانت مشمولة بحالة الطوارىء .

اراد ان يمدد قامته الطويلة جسرا بين « بعبدا » وبين سائر المناطق اللبنانية ، فانقصم ظهره ، ذلك ان المسافة كانت تتسع يوما بعد يوم ، وكل حدث من احداث السنوات الثلاث الماضية خصوصا بعد ايار كان يزيد الثقة اتساعا . وما كان بامكان اية قامة ، حتى لو كانت قامة الحافظ قارع الطول ـ ان تمتد جسرا .

تمزق في المنتصف تماما . استقال . ولم يبق له الا ان يعيد وصل ما انقطع ، وان يعيد جسوره « هو » من جديد الى نصفه الاخر وان يربط حركة التجديد بفكر التجديد ، وبقوى التجديد الحقيقية من عمال وفلاحين ومثقفين وسائر الكادحين ..

جنبلاط : ليست نهاية الازمة

٦/١٥ ، الصحف ووكالات الانباء تتداول انباء الاستقالة ، والبيان الوزاري الذي تحول الى كتاب استقالة .

وفي الطرف الاخر : جنبلاط ومؤتمر للاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، تعلن فيه : « ان استقالة الحافظ حيت نهاية الازمة ... وان قيام حكومة جديدة يرضى عنها الراي العام الوطني ، قادرة على ممارسة صلاحياتها لن يؤول الى تبديل الوضع بشكل جدي مرضي يمنع انفجار الوضع من جديد الا اذا توفرت للحكم الشروط التالية :

وبعد ان يعدد بيان الاحزاب والقوى الوطنية اهم هذه الشروط ، وفي مقدمتها اجراء تبديل جوهري في العلاقة بين السلطة اللبنانية والمقاومة والعودة الى سياسة التعاون والمشاركة وانتهاج سياسة دفاع وطني ، والتخلي عن نهج الاستثمار الى احترام الاعراف الدستورية والتاكيد على الهوية العربية للبنان والتزامه بقضايا العرب المصيرية ، وتحقيق التوازن الوطني في كل جوانب السلطة ، وبعد ذلك يطرح برنامجا شاملا للتغيير الدستوري الديمقراطي .

الاحد ، ١٧ حزيران ، بدات الاستشارات لتاليف الحكومة الجديدة . وبدات على الحدود تحشدات اسرائيلية ضخمة . هدفها الضغط على الاوضاع اللبنانية لمجيء حكومة تحقق مصالح اسرائيل ولمنع تاليف حكومة ذات صبغة وطنية غالبة ، بالضغط المباشر على بعض الاوساط او بعض المؤولين .

ذلك انه كان قد نشا ، بعد هزيمة مخطط تصفية حركة المقاومة والحركة الوطنية في لبنان ، توازن جديد للقوى ، يسمح للقوى الوطنية والتقدمية ، بلجم الاتجاهات الاكثر عدوانية ونظرفا داخل النظام التي عرضت البلاد لافدح الاخطار .

وكان بهم الامبرياليين الاميركان والمعتدين الصهاينة والرجعية العربية ، كان بهم كل هذه القوى تقديم الدعم للرجعية اللبنانية، ومنع تحقيق اي تغير باتجاه وطني في السياسة اللبنانية ، مهما كان ضئيلا .

جنبلاط يبرز كمرشح شبه اجماع للداخلية

الثلاثاء ، ١٩ حزيران : السياسيون يواصلون الصعود الى القمر . المرحلة الاولى من الاستشارات انتهت . وبدات المرحلة الثانية . من المرشح ؟ احد الصلحين « رشيد او نقي الدين » والصلح ، كما يقال ، سيد الاحكام ..!

ولكن هل المطلوب حكومة صلح ؟ « بالمعنى السياسي للكلمة » حكومة تميع الوضع ، حكومة لا غالب ولا مغلوب كما اصطلح على تسميتها . وما هو خط مثل هذه الحكومة في البقاء ؟ ام لعله يراد لها ان لا تعمر طويلا ؟

كان جو من التفاؤل يخيم على المرحلة الاولى من الاستشارات بان بعض « المراجع العليا » قد تعلمت شيئا من تجربة ايار على الاقل ، وان الحس السليم يفرض الاخذ بالوقائع الجديدة التي نشات خلال وبعد ايار حتى ان صحيفة وطنية كتبت : « بجري الحديث في الاوساط المطلعة من اتجاه المراجع العليا نحو التعاون مع كمال جنبلاط » . وبقدر ما كان يجري البحث عن رئيس للوزارة الجديدة ، كان الحديث يدور عن ضرورة تسليم جنبلاط حقيبه وزارة الداخلية فيها ، فذلك يخلق نوعا من الثقة بين المقاومة والسلطة ويمهد السبيل لتنقية علاقات لبنان العربية . وعلى هامش الاستشارات « والتفاؤل » كان ثمة خبر صغير : « السلطة اللبنانية تواصل التعرض للفلسطينيين وتعزيز مواقع قوات الامن حول المخيمات » .

تلك هي القضية !

حكومة تصلح الحال اللبناني ـ واللبناني ـ الفلسطيني واللبناني ـ العربي ، ام تمهد شادت ام ابت ، لجولة جديدة ضد المقاومة وتعد البلاد من جديد الى حافة الانفجار .

من هنا اهمية وجود جنبلاط في وزارة الداخلية .

الخميس ، ٢١ حزيران : المياه لا تعود الى مجاريها ..!

انها تشق طريقا اخر لا علاقة له بالمجرى الوطني ، ولا بمجرى الاحداث نفسه، فجاء برزف محاولات توزير شخصية غير سياسية. وقيل ان عكاري سهر في القصر ، ولكنه خرج من الباب الخلفي ..!

وتساءل البعض هل سيدخل من الباب الخلفي هذه المرة ، عكاري او غيره ، ليخرج من الباب الرئيسي ؟

واذا كان يراد لرئاسة الحكومة شخصية غير سياسية، فمن سيرسم سياسة الحكومة اذن ؟ ومع هذا فقد قيل ان « البعض » تعلموا !

من الجهة الاخرى : تحركات وحشود اسرائيلية جوا وبرا وبحرا على الحدود ... والسفاف ، وزير الدولة السعودي ، يصل بيروت !

الجمعة ٢٢ حزيران :

نقي الدين الصلح مكلفا

بعد طول انتظار ...

والانتظار هنا لا يشمل اولئك الذين استبطاوا صدور التكليف ، بل والسيد نقي الدين الصلح نفسه ايضا ، الذي قيل انه فاز اخيرا بفرصة العمر ..! وبدا بعض المرشحين الزمنين يتعلمون بعض الحكم من مثل : من صبر ظفر ... والصبر مفتاح الفرج ، وصرخ احدهم : يا عيني ع الصبر!

ولكن المهم كان ان « نفرج » ليس على الصلح الذي صبر وصابر طويلا ، بل على لبنان ، ان نفرج على اقتصاده ، وحدوده، وان يتوقف تكسير البيض وخنق العصمان! بعد ان نعرفل تصدير الدواجن ومشتقاتها .

المهم كان ، كما قال جنبلاط بلسان القوى الوطنية بعد عودته من القصر : « حكم ذو طابع وطني .. » ما جرى بعد ذلك ما زال طريا في الاذهان .

الرئيس المكلف يستشير . الرئيس المكلف يواصل استشاراته . من سيكون وزيرا للداخلية ؟ جنبلاط ؟

لا احد كان يناقش في ذلك ، حتى القصر عندما اراد ان يطيل عمر حكومة الحافظ اقترح على جنبلاط وزارة الداخلية . ولكن تبين فيما بعد ان القصد من ذلك كان شق الصف المعارض لحكومة الحافظ وقوداءها.

فجاة : عقدة وزارة الداخلية . من وضع الفيتو ؟

الكاتب والاحرار : لا فيتو على جنبلاط فيتو من القصر . لاقصر : لا فيتو ! فيتو الكاتب والاحرار .. الخ .. الخ .

وكان احرى ان يقال : فيتو السفارات المطومة والميعوثين « على عجل » ! والتحشدات على الحدود واختراق الاجواء والاراضي والمياه اللبنانية .

ومع ذلك ، « فلا شيء يعلو على سيادة لبنان الا الله ! » والسر الفيتو !

انتهت الازمة ! بدات الازمة ؟

الازمة مستمرة !

المقاومة الفلسطينية ومعضلاتها

أحد معطيات الفكر السياسي لدى الرفيق الشهيد غسان كنفاني

بقلم عدنان بدر

لو كان غسان كنفاني ، واحدا من اولئك الكتاب او المفكرين الذين يراقبون الاشياء والاحداث ، ويشبعونها تحليلا و « ادلجة » ، فيما هم قابعون خارجها .. لكان من السهل على الباحث ان يتناول تراث غسان فيدرسه كمعطيات ثابتة سكنت بوفاته ، بعد ان تحددت سماتها ومحاورها الرئيسية .

لكن غسان كنفاني لم يكن كذلك !

فقد كان بشخصه وشخصيته ، ومن ثم بحياته وفكره وعطائه ، جزءا في صلب كل الاشياء والاحداث التي تناولها في عطائه الفكري او الفني .. وبالتالي فان تناول تراث غسان بالدراسة ، لا يمكن ان ينفصل اطلاقا عن تناول موضوعات ذلك التراث ، وتأثر غسان بها وتأثيره فيها .. وهذه العملية ، بالاضافة لتداخلها ، تتميز بانها ما تزال وستبقى الى امد طويل ، عملية حية ذات عطاء مستمر لم يتوقف بتوقف قلب غسان الكبير عن النبض .

فحتى استشهاد غسان بالذات كان حدثا من احداث هذه العملية المتفاعلة ابدا والمتحركة باستمرار . وتراث غسان الذي هو جزء من عطاء حركة ثورية مستمرة ، ما يزال يفعل في تلك الحركة ، ومن خلال فعلها ، في الحياة التي تواجهها الحركة نفسها .

واذا أخذنا ، على سبيل المثال ، الدراسة الكثيفة التي كتبها غسان عام ١٩٧٠ عن « المقاومة ومعضلاتها » ونشرت في « الهدف » بدون اشارة الى مؤلفها .. واعدنا قراءتها الان .. لوجدناها اكثر فعلا في مسار حركة المقاومة حاليا مما كانته عند نشرها .. فذلك التشوف الثوري الصائب الذي يطبع الدراسة من اول حرف فيها الى آخر حرف .. والذي يرتكز على التحليل العلمي الموضوعي ، هو الان بعد اختراقه للاحداث ، وبذلك الاختراق يحمل براهينه في ذاته ليفاجيء القارىء بمدى مطابقة ذلك التشوف للصيرورة التي جاءت بعده . وبمدى دقة تلك المطابقة :

هذا مثال حول دقة التشوف الثوري عند غسان .. ومثله آلاف الامثلة التي تطالع القارىء في كل صفحة من صفحات الدراسة المشار اليها .. لكن السؤال الاساسي هو : هل ان هذا التشوف هو نتيجة مصادفات مثالية او انه نتيجة حتمية للمنهج والرؤية العلميين اللذين تعامل بهما غسان مع واقع المقاومة وطبيعة معركتها وظروف ذلك الواقع وتلك الطبيعة ؟

طبعا من السهل الاجابة باختصار .. والقول ان غسان كان مسلحا بالماركسية كنظرية علمية ثورية ، تملكه ذلك المنهج وتلك الرؤية الكفيلين بتصويب نشوفه للامور وتسديد صيورته الفكرية التحليلية ..

لكن الحقيقة .. وضمن الظروف التي مرت بها المقاومة ، والظواهر التي نمت على جوانب مسيرتها .. هي اعمق من ذلك بكثير :

فقد كان غسان يختلف عن عدد من المفكرين « اليساريين » وبالذات اولئك الذين هم اكثر « يسارية » منه .. بالضبط في طريقة تعاملهم مع الماركسية ذاتها ..

ففي حين كان اصحاب معارض « الماركسية » يلوون عنق الحياة والاحداث ليجعلوا منها جدرانا يلفون عليها لوحاتهم « النظرية » .. ويلوون عنق الماركسية ذاتها ليجعلوا منها قصصا فاقعة الالوان ، وايفونات اقل سحرا من ابقات القديسين المعلقة على جدران الماركسية .

في ذلك الحين كان غسان كنفاني يصل الى الماركسية من داخل الحياة .. من داخل الجهد النضالي الثوري اليومي .. كان وصوله اليها من خلال جدلية الفعل والعمل .. كانت الماركسية بالنسبة له هي العلم . « ان ذلك يشبه بلا ريب الى ان مسألة الولاء لنظرية ثورية هي مسألة ابداع او مسألة تعامل مع الواقع الموضوعي من خلال تلك العملية الجدلية التي يتبادل فيها التطبيق مع النظرية زادهما المشترك » كما يقول غسان كنفاني نفسه .

معضلات المقاومة كما يراها غسان كنفاني

بهذا التفاعل الخلاق بين غسان المناضل وغسان المفكر .. استطاع غسان كنفاني كماركسي ثوري ان يمتلك زمام الرؤية الثورية التي اهلته للاطلال على حقيقة وضع المقاومة الفلسطينية اطلالة استراتيجية ثورية متكاملة . فكشف له بكل جلاء جميع معضلاتها الذاتية والموضوعية ، كما تكشف له الاساليب الثورية الكفيلة بمواجهة تلك المعضلات . حتى ليمكننا القول ، دون اية مغالاة ، ان دراسة غسان المكثفة حول « المقاومة ومعضلاتها » يمكن ان تكون افضل برنامج عرفته حركة المقاومة حتى الان . فقد استطاعت هذه الدراسة ان تحدد :

منهج النظر الى الصراع .. والفكر السياسي في طبيعة الصراع .. ثم طبيعة اداة الصراع .

المنهج النقدي الثوري

يقول غسان كنفاني وكأنه يرد على كثيرين من « الدارسين » المتأخرين : « جرت العادة ان يقع اي بحث نقدي لحركة المقاومة بمرحلتها الراهنة ، في حقل من الاتفاق : اننا لا نتحدث هنا عن الاتفاق الذي تهيئه النظرة الانعالية او العصبوية ، او النظرة التي تغلب متطلبات الحاجة الاعلامية ، على المنهج النقدي ، او تلك التي تحصر نفسها ـ طوعا او مرغمة ـ بالجزئيات التكتيكية ، ولكننا نتحدث عن الاتفاق اكثر خطورة تتعلق بالمنهج النقدي الذي يتبع في قياس حركة المقاومة .

هذا المنهج يسقط عادة في « الانتقائية » ولكنه يسقط ايضا في المذهبية الجامدة ، واهم من ذلك كله هو ان يحل نفسه من الالتزام بالاساس العلمي والموضوعي للعملية النقدية التي هي جزء لا يتجزأ من العمل الثوري برمته ، اذا كانت الثورة ـ كما هي فعلا ـ ملزمة قطعا وبالضرورة بتغيير العالم وتغييره في آن واحد .

ان واقع المقاومة ، مثله مثل اي واقع آخر ، هو في حقيقته حركة العديد من الجزئيات ، المرتبطة ببعضها رباطا جدليا مستمرا . ولا شك ان الخطيئة النقدية المميتة ترتكب حين نفرض حالة السكون فرضا على جزئية من هذا الواقع، فعندئذ نكر على التو سلسلة من الاخطاء : فصل هذه الجزئية اعتباطا عن عدد غير محدود من الجزئيات الاخرى ، ثم تسكينها بصورة قسرية ، ثم دراستها او نقدها او قياسها بمعزل عن تلك الصلة الجدلية بين العمل والمعرفة .

من هنا نرى كيف ان عدة مقالات نقدية ظهرت خلال الفترة الماضية تقيس المقاومة الفلسطينية بمسطرة العمل المسلح وحده ، كما ظهرت مقالات اخرى تقيس المقاومة قياسا مذهبيا بحتا يحول المسألة الى ركام من الصيغ والادبيات . وتمت قياسات فظيعة تعزل المقاومة الفلسطينية كما يعزل الكيمياوي في المختبر خلية حية .

ان اية نظرة نقدية للمقاومة ، في مرحلتها الراهنة ، تفرض بالبداهة ادراك مجموع اطراف هذه العلاقة المتحركة في المسألة كلها ، وتفرض النظر الى واقع هذه المقاومة من زاويه علاقاتها المتبادلة ، وحركها وشرطها ونموها . ان المنهج الديالكتيكي هو ذاته ، في جوهره ، نقدي وثوري ـ كما نقول ماركس ـ وهو بلا شك مسعر ، ومن هنا فان العملية النقدية لا يمكن الا ان تكون جزءا من مجموع الجزئيات التي تشكل علاقاتها المتبادلة ، او الموثرة او المتأثرة ، الحركة المسعرة للتاريخ » .

ـ ما أصدق هذا الكلام . واكثر اهميته . اذا ما رأينا كيف ان بعض يحاولون العملية النقدية من مشاركة في العملية الثورية . الى مبررات هروبية من مسؤوليات تلك المشاركة ـ

« كان لا بد من هذه المقدمة الموجزة » يضيف غسان « لتحديد منهج نقدي : فلا ريب انه ينبغي رفض الاسلوب النقدي الذي لا يؤدي الى جعل الممارسة قادرة على تصحيح النظرية ، وبالتالي الى اغنائها كي تعود وتؤثر في الواقع . ولذلك فعلينا منذ البدء تحديد الاطراف الاساسية للمسألة ، هذه الاطراف التي تشكل علاقاتها بعضها ببعض الاخر الاساس الكامن والجوهر الحقيقي للمسيرة الثورية الراهنة ، والتي لا يؤدي الفصل المصطنع فيما بينها الا الى الغموض .

فهناك اولا مسألة الفكر السياسي للمقاومة الفلسطينية .

وهناك ثانيا مسألة الممارسات ، التي تبرز من بينها الممارسة القتالية بالدرجة الاولى .

ولكن هناك ثالثا ما يعطي هاتين المتالتين عمقهما وفعاليتهما وهو يتركز في المسألة التنظيمية .

ويشرح غسان العلاقة بين هذه الجوانب الثلاثه للمسألة الثورية الواحدة ، بقوله :

« لم يعد من المقبول ، ولا من المجدي ان يكون « العمل الثوري » مجرد ممارسات تجريبية غير مسلحة بالفكر السياسي ، وكذلك فان الفكر السياسي او النظرية ، بدون ممارسة فعلية تعود عادة الى تراجع داخل حلقة مغرقة . على ان المسافة القائمة بين النظرية والممارسة لا يمكن

تغطيتها ميكانيكيا ، فالعلاقة بين الفكر السياسي وممارسه ، بين النظريه والتطبيق ، تطرح مسألة ثالثة ، موازية في الاهمية ، هي المسألة التنظيمية » .

« والمسألة التنظيمية » كما نصف الرفيق غسان « ليست مسألة تكتيكية ، ولكنها طرف في العلاقة الجدلية القائمة بين النظرية والممارسة : ان التنظيم حين لا يكون وليد نظريه ثوريه ينتهي الى صيغه نامرسة ، وحين لا تكون التنظيم واسطه تلك النظريه الى الممارسة الفعيلة ، فهو ينتهي الى تجمع عصوي معزول » .

ومعد ان يؤكد غسان كنفاني بالحاح شديد على ضروره المسالة التنظيمية ، ويربط بشكل خلاق بين الجوانب الثلاثه للمسالة الثورية : النظريه والممارسه والتنظيم .. يتمثل الى تجربة المقاومه بشكل مخصوص فيدرسها على ضوء هذا المنهج النقدي الثوري الذي يأخذ بعين الاعتبار اطرافها الثلاثه : الفكر السياسي والمعضلة التنظيمية والمعضله العسكرية . وكذلك العلاقة بين هذه الاطراف .

بالنسبة للفكر السياسي ، فان ابرز ما يعتقده الرفيق غسان كنفاني عند حركة المقاومة الفلسطينية بوضعها الراهن ، هو الرؤية الستراتيجية : « ان الثوره ، حتى في تفاصيلها اليومية ، لا يمكن ان تتقدم ان هي لم تكن مزوده بافق استراتيجي ، والقيمه الاساسية للحركات التكتيكيه ـ السياسية والعسكريه ـ هي في كونها تصب ، في نهاية المطاف ، في مصلحه ذلك الافق الستراتيجي » .

ثم يضيف :

« ان المقاومه الفلسطينية في مرحلتها الراهنه ما تزال تفتقد ـ لدى هذا التنظيم او ذاك ، وبهذه الدرجة او تلك ، افقها الستراتيجي مما يخص بعدين شديدي الاهمية : البعد القومي، والبعد الطبقي » .

وعن العلاقة بين هذين البعدين ، يقول :

« ولا يبدو في التشديد على اهمية هذين البعدين معا ، وعلى المسوى نفسه ، اي تناقض للناظمة الوطنيه ـ الرجوازيه الصغره المهزومة، اذ انها ظلت قادره وسط ذلك الضياع على عشل شيء ما بجذب الولاء العفوي للجماهير ، وادى ذلك الى اندفاعها لاقتناص المزيد من ذلك الولاء عن طريق السابق في تأييد العمل الفدائي »

« واخذ هذا السابق ، الذي حركه حوافز تكتيكية بالدرجه الاولى ، طابع الصخب والمبالغة والضجيج ، وادى انهيار المقاومه الفلسطينيه الى وجود حزب قوي وطليعي ومنتشر ، الى العجز عن استخدام ذلك الجو الفضفاض الذي احيطت به ، ونشا عن ذلك خلل كبير في الصوره ! فمن ناحية تندفع المقاومه الفلسطينيه وسط جو لم تنضج فيه بعد الظروف الموضوعية لثورة في مستوى شعاراتها ، وبالتالي لا تتوفر فيه ادوات هذه الثوره في مستوى المهمات التي تتصدى لها ، ومن ناحية اخرى تحاط باطار واسع فضفاض من الولاء الجماهيري ، تقف عاجزة عن تعبئته وتنظيمه . ولا ريب ان عجز وقصور الاحزاب العربيه الوطنيه ، والهزه الزلزلة التي ضربتها في حزيران (وهي اصلا منهكة من اعباء الانظمه العسكرية والانظمة الرجعيه والانظمة البوليسيه ، بالاضافه لامراضها الذاتيه) ، قد زاد في بلبلة الصوره في الساحة الفلسطينية والعربية على السواء . على ذلك كله لم يحل دون حدوث الاندفاعه الثورية الاولى ، التي عبأتها الاطارات المحدودة لحركة المقاومة آنذاك ، ومضت فيها بشجاعة الى ميدان القتال ، واستطاع هذا الاندفاع ان يفعل فعل السحر في الجماهير العربية في كل مكان ، الا ان مثل هذا السحر نظل معجزاته رهنا بقدرة الثورة على تنظيم مفعوله وتعبئته وفق استراتيجية ثورية واعية »

المأزق الستراتيجي

هل ادى غياب هذه الرؤية الستراتيجية الى مأزق ؟ وهل استطاع غسان كنفاني ان يضع يده منذ اوائل عام ٧٠ على الملامح الاساسية لذلك المأزق ؟

نعم ...

يقول غسان : « لقد وصلت هذه الاندفاعة الثورية الاولى الى ذروتها في معركة الكرامة في اذار ١٩٦٨ ، تلك المعركة التي اعطت مثالا رائعا على قدرة القوة الصغيرة غير المسلحة بالاسلحة الحديثة ، على مواجهة قوة كبيرة واصابتها في مقاتلها ، والتي الهبت الجماهير العربية والفلسطينية الى ابعد مدى . ولكن هذه المعركة ايضا ادت الى نتائج على الطرف الاخر، طرف العدو : فهي من جهة نبهت اسرائيل الى فراغ هذه الظاهرة التي استخدت بها في البدء ، وهي من جهة ثانية نبهت الدول العربية ـ على مستويات مختلفة ـ الى الخطر الذي تشكله مثل هذه القوة الصاعدة ، ان هي استطاعت المضي الى مداها .

وكان من نتائج ذلك ان طورت اسرائيل استراتيجية سياسية وعسكرية في مواجهتها للكفاح الفلسطيني المسلح ، وطورت الدول العربية ـ كل منها حسب حاجتها ـ خططا تضمن لها « حدود امن » خاصة بها » :

ثم يتابع غسان فيشرح التفاصيل الاساسيه لستراتيجيه اسرائيل تلك ولخطط « حدود الامن » المذكورة . ليصل الى الوقوف امام فترة الركود التي عرفتها المقاومة بعد تفاد اندفاعتها الاولى ، فلا يكتفي بوصفها ، بل يتجاوز ذلك الى البحث عن وسائل تغيرها .. متمثلا عن الاسلوب الذي ينبغي اتباعه في مواجهتها :

« ـ هل نواجه مثل هذه الفترة بتجاهلها ؟

ـ ام نختار مخرجا اعلاميا لها ؟

ـ ام نرى نمعن في المعاندة دون اجراء تعديل استراتيجية وتكتيك نشاطها ؟

ما الذي ينهي هذه الرحلة ، ويضع المقاومة في بدايه الاندفاعه الثانية التي تنقلها من مرحله الى اخرى ؟ ان هذه المسأله في ظاهرها تبدو عسكرية بالدرجه الاولى ، ولكن في اسبابها ونتائجها هي بلا ريب سياسية . وذلك هو بالضبط ، على صعيد عملي وواقعي ، المغطى الي تبدو فيها المسأله العسكرية ، منزله عن الفكر السياسي ، مجرد نقطه عائمه في الهواء والمجهول . وهنا بالضبط تقول النظرية الثوريه كلمتها ، وهنا بالضبط يبدو صحيحا تماما القول بان النظرية الثوريه ليست مذهبية مغلقه على نفسها ، ولكنها دليل عمل نفسر ، كي نصبح بمقدورها ان نغير » .

ويتشوف ثوري مدهش بحدث الرفيق غسان عن مخاطر مرحله الركود هذه فيقول :

« ان فترات الركود في الثورات تشهد عاده ـ كما نقول لنا التجارب الثورة التاريخية ـ نموا غير عادي لظواهر غريبة : ذلك ان الاعصاب في تجاهل حالة الركود هذه يؤدي بالطبيعه وبالضروره الى بروز « نفسرات » واسباب و « ظواهر » ، ان هي اصرت على تجاهل الاسباب والمخارج الحقيقيه ـ معاندة او قصورا ـ فلا مفر من ان تكون هذه الظواهر والمفسرات والاسباب جزئية ، والى حد كبير مرضيه . الدعاوي الفضفاض بالنقد الثوري والتوعيه الوطنيه ، واسبدال العصويه الضيقه بالتنظيم الثوري ، واستبدال الممارسات العسكرية الكلاسيكية بارتال الجماهير المنظمة والمسلحة والمقاتلة .

« ان المخرج من المازق الراهن لا يمكن اجتراحه الا من خلال تقييم موضوعي لمسعه المرحله التي تعيشها المقاومه في هذه الفترة » .

ولكن ما هي سمة هذه المرحله ؟

بعد ان يدخص الرفيق غسان كل محاولات الهروب من مواجهه المازق ، ان كان بالحلول الاعلامية او بالمعضلات « الكبيره » التي راجب آنذاك لدى اكثر من تنظيم .. بعد ذلك يقول بثقة لا حدود لها :

« ان الدلائل الموضوعه ، ومجموع الظروف الذاتيه وغير الذاتيه التي يحيط بحركه المقاومه الان ، انما تشير الى ان المرحلة ليست في الواقع الا مرحلة المضي في انضاج ظروف الثورة، وفي تعبئة الاداه الثورية القادرة على خوض حرب العصابات ، واي حرف لهذه المرحله الاساسيه سينعكس بلا ريب على المراحل المقبله وتخرها » .

وبعد ان يعالج الرفيق غسان مساله الفكر السياسي لدى المقاومة بمعضي بنفس هذه الروح الثورية الخلاقة لمعالج الجانبين الاخرين من المساله الثوريه الواحده، وهما المعضله التنظيمة والمعضلة العسكريه . وارتباطهما المطلق والجدلي بذلك الفكر السياسي الثوري .

ان متابعه الرفيق غسان كنفاني في دراسته المكثفة هذه لمعضلات المقاومه ، وقراءه التشوف الثوري المذهل فيها ، على ضوء ما حدث بعد كتابة تلك الدراسة .. لفتح آفاقا واسعة ، ليس امام رؤية الفكر السياسي الثوري الخلاق عند الشهيد غسان ، وانما ايضا امام استعادة زمام الرؤية الثورية للمازق المتواصل الذي ما تزال تعاني المقاومة الفلسطينية منه ، ولسبل التمرد الثوري على ذلك المازق والخروج الى مرحلة اندفاع جديدة .

ان هذه الدراسة بحق ، تقع في مرتبه الاساس من اي عملية تجديد وتثوير الفكر السياسي لدى حركة المقاومة الفلسطينية .. واهمية العودة مجددا الى دراستها ، ليست باقل من مستوى اهمية ان نتابع الثورة او لا نتابعها .

كما انها في الوقت نفسه ، الدليل على ان فعل المفكر الثوري والمناضل هو فعل مستمر لا يوقفه الوفاة .. فكيف بالاستشهاد ! وهو بالضبط ما يميز غسان كنفاني وامثاله من المفكرين الذين يتناولون الاشياء والاحداث فيما هم فاعلون خارجها !

■■

من مجموعة

"ارض البرتقال الحزين"

لا شيء!

« نقلت الانباء ان جندياً على الحدود صب فجأة رصاص رشاشه على الارض المحتلة فاقتيد الى مستشفى الامراض العصبية ! . »

. . .

كانت تلك هي المرة الاولى التي سمع فيها هذا الاصطلاح : « انهيار عصبي » ! وسأل الممرض فيما كان يقتاده الى الخارج :

– ماذا يعني انهيار عصبي ؟.

اجاب الممرض بجفاء :

– يعني انك لست على ما يرام !.

رفع يده ودق باصبعه على جانب رأسه وسأل :

– هنا ؟

– نعم . هنا !

وقف هنيهة . لم يكن متأكداً من اي شيء . ثم عاد فسأل مرة اخرى لمجرد انه لا يعرف ماذا يتعين عليه ان يقول :

– انهيار عصبي .. هنا ؟

– نعم ..

– ماذا يعني ذلك ؟

– يعني انك لست على ما يرام ..

– كيف ؟.

جذبه الممرض من ذراعه بعنف فأحس بأنه انما كان يقول كلاماً فارغاً وانه لم يكن ليستطيع التحكم بلسانه . كان ثمة عنكبوت اسود كبير قد تمركز في جبينه من الداخل واخذ يبني شباكه الدقيقة القاسية بين عينيه .

– الى اين ستأخذني الآن ؟.

– عليك ان تقابل الرئيس ..

حاول ان يقف الا ان الممرض دفعه بعنف . فأكمل مسيره ..

– قل لي . هذه المقابلة مع الرئيس . هل تتعلق بحكاية الاعصاب هنا ؟.

اشار الى جانب رأسه مرة اخرى . ومضى العنكبوت يشد خيوط شباكه ..

– اغلب الظن ان نعم ..

– نعم ماذا ؟.

– اوف !.

مرة اخرى احس بأنه . فعلاً . ليس على ما يرام .. ولكنه كان يرغب في اطلاق سراح لسانه الى ابعد مدى مستطاع :

– هل تعرف شيئاً ؟.

– ماذا ؟.

ثبت قدميه في الارض وهز اصبعه بوجه الممرض المرافق ، ولما حاول الاخير ان يدفعه شنج ساقيه وامتنع ..

– اريد ان اقول لك شيئاً ..

– ماذا ؟.

– صحيح انه انهيار عصبي .. ولكنه ليس هنا ..

– اين اذن ؟.

اشار الى صدره وقال بهدوء :

– هنا ..

– الانهيار العصبي لا يحدث هناك قط ..

– من قال ذلك ؟.

– الاطباء ..

– انهم مجانين ..

مشى قليلاً . ثم وقف وهز اصبعه بوجه الممرض مرة اخرى ..

– الاطباء مجانين .. ثم ان هذه ليست حالة طبية . انها حالة عسكرية ..

– لماذا هذه الحالة حالة عسكرية ؟.

– لانني انا نفسي عسكري !

– وما الفرق ؟

– ماذا تعني ؟

عاد الممرض . فجذبه بعنف وسار به في الممر النظيف الصامت .. كانت الابواب مغلقة على طول الجانبين . وكان العنكبوت قد بدأ يغني وهو يكمل نصب شباكه القاسية بين عينيه ..

– أهو بعيد من هنا ؟

– من ؟.

– الرئيس ..

– في آخر الممر ..

كان يزعجه ان ينتهي الحديث بتلك السرعة . وكان يحس بأن عليه ان يتكلم كثيراً . لقد كانت رغبة جارفة تتملك بصدغيه وتهزه بلا هوادة .. وكان الممرض المرافق يصر على سحبه بعنف . وكانت

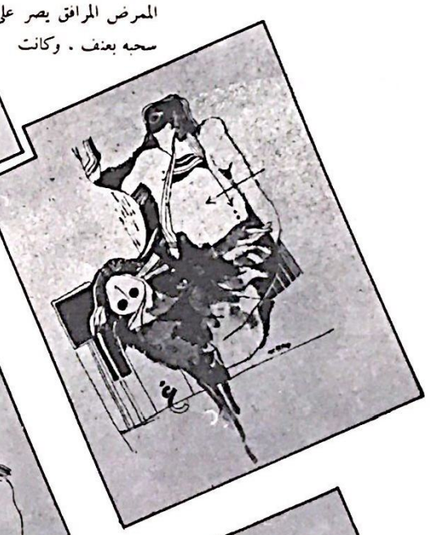

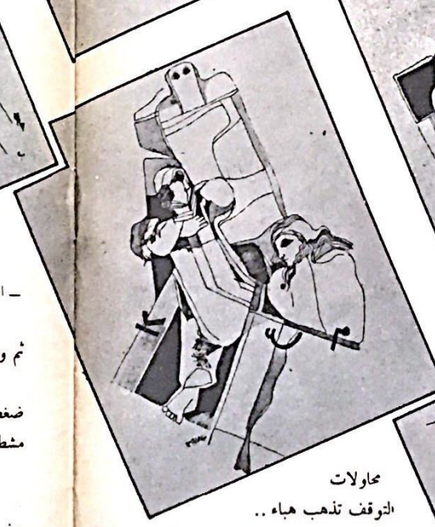

محاولات التوقف تذهب هباء ..

– اسمع . لقد اتعبتني .. لنقف قليلاً ونستريح .. ثم اني – كما قال الطبيب – رجل مريض ..

وقف الممرض . وقاسه بعينيه ملياً . ثم هز رأسه واطبق شفتيه باحكام . بينما اتكأ على الحائط ومضى

يتابع خطوات العنكبوت البطيئة وهو يتنقل في جبينه متمماً بناء عشه ..

– كيف عرف انني مصاب بـ .. بـ .. بذلك الشيء المتعلق بالاعصاب هنا ؟

– الانهيار العصبي ؟

– نعم .. الانهيار العصبي .. كيف عرف ؟

– لقد سألك اسئلة خاصة .. وهم يعرفون المرض من الاجوبة ...

– ولكنه لم يسألني كثيراً . سألني مرتين أو ثلاث مرات ثم انكب على دفتره يكتب .. قال لي : ماذا شعرت قبل ان تطلق الرصاص ؟ فقلت له لم اشعر بأيما شيء .. ثم قال : ماذا شعرت بعد ان اطلقت الرصاص ؟ فقلت له : لم اشعر بأيما شيء .

– فقط ؟.

– وه كلا ! لقد اصيب بخيبة امل كبيرة حينما قلت له لا شيء !. وكان يريد ان يكتب وكنت اريد ان اساعده حقاً فقلت له ..

– ماذا قلت ؟

– قلت له انني بعد ان اطلقت الرصاص شعرت بشيء واحد فقط . هو ان مشط الفشك سريع الانتهاء ..

– اشعرت بذلك حقاً ؟

هز رأسه بأسى . وكان العنكبوت قد اتم نسج بيته كله ، ثم وقف في الوسط رافعاً اذرعته المتعددة باحثاً عن ذبابة ..

– اوه .. نعم ! انت لا تتصور كم كان ذلك مذهلاً ! ضغطة واحدة على الزناد وينتهي الأمر .. انهم لا يحملوننا سوى مشط واحد ..

– هيا بنا ..

شده من ذراعه فمشى معه وقد احس بالالفة لأول مرة ، منذ ذلك الوقت الذي تلقى فيه ضربة قاسية على مؤخرة عنقه ، ثم نقلته سيارة الجيش الى المستشفى .. وفي غمرة ذلك الشعور المريح لاحظ بأنهم خلعوا عنه بذلته العسكرية والبسوه لباساً غريباً .. ولكنه لم يشأ ان يحزر متى حدث ذلك ..

– .. لقد قتلت اثنين ..

– من ؟

– انت ، حينما اطلقت رصاصك قتلت اثنين منهم ..

– واين المفاجأة ؟ حينما يطلق المرء رصاصاً فانه يطلقه على شيء ما ..

– كنت تتعمد ذلك ؟

– اوف ! . ماذا تحسب اذن ؟

– كنت احسب انه انهيار عصبي !..

– وما الفرق ؟

– الفرق ان المصاب بانهيار عصبي لا يتعمد ذلك ؟.

وقف فجأة فتقطعت خيوط بيت العنكبوت واهتز في مكمنه الا انه ما لبث ان انطلق بعناد لاصلاح ما انفتق من الشباك

– انهم يحسبون اذن انني لم اتعمد ذلك ؟

– اجل !

– كلا ! لقد تعمدته !

– لو قلت ذلك امامهم لسجنوك ، الافضل ان تمسك لسانك ..

صار العنكبوت يعمل بصخب وجنون واخذ يحدث ضجة في جبينه ، خيل اليه انه على وشك ان يقع ، ودار الممر الطويل دورة كبيرة حول نفسه ثم عاد الى ماكان عليه ..

– لماذا يريدون ان اقول انني لم اتعمده ؟.

– لانه عمل غير صائب .. ثبت قدميه في الارض فعاد الممرض لسحبه الا انه نفض ذراعه بعنف وتقطعت خيوط اكثر في بيت العنكبوت ..

– اتريد ان اقول لك شيئاً ؟

– كلا ! اريد ان تمشي معي . لقد ضيعنا نهارنا ..

– لن امشي قبل ان اقول لك شيئاً ..

– حسناً . قل ..

– انا مصاب بهذا الشيء المتعلق بالاعصاب لانني تعمدت ان اطلق الرصاص .. اليس كذلك ؟.

– اجل ..

تقطعت المزيد من الخيوط في بيت العنكبوت وضجت الحشرة السوداء بجنون وهي تحاول رتق الفتق .. واكمل :

– وهم ليسوا مصابين بذلك الشيء الخطير المتعلق بالاعصاب لانهم يتعمدون ان لا يطلقوا الرصاص .. اليس كذلك ؟..

– اجل . ماذا تريد ان تقول ؟..

– ماذا اريد ان اقول ؟ اوف ! لا شيء .. لا شيء ..

سار بهدوء . وكان يدق ارض الممشى بقدميه الكبيرتين فيهتز جسده الضخم ، وكان العنكبوت يرتج في جبينه ، والخيوط تتقطع بعنف .. ثم يهتف ..

– اسمع ، هل انت متأكد ان هذا هو الصحيح ؟.

– ماذا ؟.

– هذا الذي قلته قبل قليل عن موضوع الاعصاب ؟

– طبعاً .. طبعاً ..

نظر الى الممرض بامعان .. كان العنكبوت قد بدأ يتلاشى . وامحت . فجأة . كل آثار خيوطه المتشابكة وصار جبينه من الداخل نقياً كبلاطة رخام ابيض ..

– حسناً .. دعنا نذهب الى الرئيس !..

مقدمة الدكتور يوسف ادريس عن المجلد الثاني من الآثار الكاملة لأعمال الرفيق الشهيد غسان كنفاني

كان غسان اول كاتب في كل تاريخ ادبنا العربي يعيش قضيته الى حد الشهادة

ان قيمة الكاتب الفنية أيضا تستمد كمها وكيفها من القضية

المقدمة التي كتبها الدكتور يوسف ادريس للقصاص المصري المعروف للمجلد الثاني من الاثار الكاملة لاعمال الرفيق الشهيد غسان كنفاني ، والذي سيصدر في الذكرى السنوية الاولى لاستشهاده . « الهدف »

لم احس بفخر ابدا اني اكتب القصة القصيرة . لا شيء من ذلك يراني كان يدعو الى الفخر وانما لا شيء يدعو الى الاحساس بالعار . هي جزء من وجودي او وجودي ، لا دب لي في فيه ولست صانعه . المهم احسست بها هذا صحيح ، الرغبة في الكمال ، صاع النغم بالنغص ، استعادة النغم ، كل هذه وغيرها احسست بها .

ولكن الفخر اني كاتب قصة قصيرة احسه مرتين في حياتي .

والغريب ان المرتين كانتا بخصوص غسان كنفاني .

الاولى حين استهل على تلك الصورة المروعة . وكان استشهاده النهاية الفعلية لحياة كاتب بسط الى هذا العصر والى هذا الشعب والى قصيه مثل قصيه . حياة جديدة لكاتب جديد ، غسان ، بدأ منذ الخمسينات يحتل ساحة الادب العربي وينقل الكتاب والكتابة العربية من حيث كتاب وكان ، دائما على الهامش ، الى حيث اصبح واصبحت الان جزءا لا يتجزأ من عظم الوجود العربي ولحمه وبحاته .

دهور طويلة ودهور ، وفقهاء الادب وكهانه يعلموننا ان الادب كل ما لا يجب ان نتعلم ، حتى في مطلع القرن حين اعتبروه فنا وشيئا غير البلاغة واللغة ، ظلوا سالخينه عن الحياة والاحياء ، عن الكفاح والسياسة ، عن العلم والاقتصاد والتاريخ ، عن الثورة . ظل ايضا واحدا من « العنون الجميلة » والاقوال الجميلة والنظم الجميل . غرقنا في نحور عن الجدل عما هو في وما هو غير في ، ما هو شكل وما هو مضمون ، عن الكتاب الذي عليه كي يخلد ان يختار مواضيع خالدة وحيدا لو كانت من الحق والخير والجمال . والمثل حاضر دائما : امامك شكسبير ، امامك راسين ، امامك بوشكين وجوجول وادجار الن بو ، قبلوا مفهومات وظروف وبلد جديد ، بعد جديد قديم ، وبعد للبلد ، ومنهج موضوعي ونفسي وفرويدي للبلد . هكذا ، كما ناهت كلمة الاشتراكية في خضم ما اغرقنا به من كتب ونظريات وشروح وفلسفات ، بحيث وغم اكثر من ربع قرن من حدب دائم على الاشتراكية وتاليف وترجمة وتاليف صرخ عنها ، لا يزال المواطن العاري العادي لا يستطيع الى الان ان يعرف الاشتراكية بحمله واحدة معبدة ، حتى المواطن الذي من الممكن ان تحدثك ساعة باكملها عن الطابين وتعاويذ « اوجين » .

هكذا اعتبا ناهت كلمة الفن ، ومن باب اولى فن الكتابة .

من هو الكاتب ؟ اسأل، واظفر بالف اجابة، ولكنك ابدا لن تظفر بالاجابة الوحيدة الصحيحة .

اظفر انا قصة ، والكاتب انسان صاحب قضية يؤمن بها ويتباها في كل حدث فيه كل ما يملك من حاسبة لاستيعابها ، وكل ما يملك من قدرة للتعبير عن احاسيه ذاك لتعبر عنها بالف لون ونوع من التعبير .

حتى شكسبير الذي يضرب به المثل في خلود الكتابة حتى بعد عن السياسة وعن المشاكل اليومية وعن حاضر الانسان الملح . لم يصبح شكسبير الا لانه كان عكس ذلك تماما . فاخر ما كان يفكر فيه الرجل ان يخلد او يتناول المواضيع الخالدة ، اذا كان همه الاجل من كل عمل مسرحي يكتبه هو الوضع في انكلترا في ذلك الوقت بالذات . واذا كان ملجا للتاريخ فقد كان يعمل ليخدم من خلاله عن الحاضر . كان شكسبير ثائرا على طبقه اجلبرا الحاكمة، ولكنها تلك الثورة العميقة الذكية المبررة . ما من عمل من اعماله الا ومن خلاله كان يناول شريحة او شخصية او ماخذا لهذه الطبقة وبراعة فائقة بدقته ويكشفه ويحلله ويصنع في مقابل النماذج المنمسخة ، ذلك البطل الجديد . ان ماساة مثل ماساة « عطيل » نفسها لا اظن مطلقا ان دافع شكسبير لكتابتها كان ان يجد غيره عطيل الحمقاء وحسن يواياه الى نصل الى الذاذاحه ، او مجدد استهاد رديدموته . ان التعليل الاصدق والاسطح انه كتب هذه المأساة ليرى جمهوره من خلالها نموذج الشر الغريب المثل في « ياجو » وليسقط جمهوره شخص عطيل على نموذجها الحي المقابل . بعاما مثلما يكتب اي مسرحي عملا مسرحيا معاصرا نجد فيه دور المخابرات في الدول الحديثة من القاق اللهم بالارباء، ودفع الحاكم للاطاحه بهذا او بذاك بناء على المعلومات التي قدمتها مخابراته او الادلة المزورة التي وضعتها بعب عينيه . وفي الماضي كان اشخاص بمفردهم هم الذين يقومون بدور الاجهزة ، اشخاص مثل « ياجو » في كتها شكسبير ، فحجر الزاوية في المسرحية ليس الغيرة، حجر الزاوية الاساسي هو العلاقة الغريبة بين « عطيل » و « ياجو » علاقة الهمس الشرير في اذن الغضوب القوي حسن النية .

بيكاسو لم يصبح بيكاسو لانه تكعيبي او زرقاوي او تجريدي ، لبيكاسو قضية ، هي شعب اسبانيا ، وفي واعيه ولا واعيه وجوه مفضضة بالشقاء والالم والمأساة . ان شاءك الوجه الاسباني بمأساته من كثرة ما الح هذا الشاءك والح على وجدان شديد الحساس شديد الحساسية شديد التاثر بالمخلفات والاشكال ، ولد بيكاسو ، ولا يزال ، كفنان، حيا ، لانه ، كفنان لا يزال يحيا قضيه .

بل ان فيه الكاتب القصة ايضا يسهد كمها وكيفها في القضية ، بمقدار صدقه تكون قيمه ، بمقدار داءه الملح على الصدق وسبر الحقائق للوصول الى حقيقة الحقائق ، بمقدار عمق الايمان يكون عمق الموهبة . الاصالة هي من اصالة قضيتك والعبقرية هي ان تصل بايمانك وتعبيرك عن هذا الايمان حدا لا يصله غيرك ، لن نجد عبقرا واحدا الا وهو مؤمن وموهوس الايمان بقضية الى حد معجز .

احسست لاول مرة في حياتي بفخر اني كاتب من كتاب القصة العربية القصيرة حين استشهد غسان كنفاني . فبحياته حين انتهت هكذا ، انتقل من حيث الكتاب الى حيث الابطال وكان اول كاتب قصة يفعل هذا ، بل، بالاحق اول كاتب في كل تاريخ ادبنا العربي يعيش قضيته الى حد الشهادة . احسست بفخر اني انتمي لغسان وانه من نفس جيلي وان تاريخ الكتابة العربية ، الكتابة وليس صنعه الكتابة ، سيبدا هنا . صفحة جديدة تنهي تاريخا طويلا من العيش ذلا ، وفضاء العهر في خدمة السلطان ، كل سلطان ، بل احيانا في خدمة من هم في خدمة السلطان . ذلا يعيشون ، وما اذل ما يكتبون ، لاقف وخصماتة عام واكثر وهم يقتلون الادب كتابة ويختقون ، جيلا وراء جيل ، قدرة الخلق عند الرواد الجدد . تاريخ طويل ملاوا به نصف دار الكتب مخطوطات كثرة ليس في ٩٩٪ منها فكرة واحدة اصيلة او خارجة عن المالوف ، ولانهم طلاب دنانير ، والخلفاء يجازون بحجم الكتاب فلتضخم الكتب وتعدد اجزاؤها ، وليس في صفحة واحدة منها كلمة واحدة افادت الناس في عصرهم او فيما تلى هذا من عصور . لولا قلة قليلة كان سينا وابن رشد « وحتى هؤلاء لم يكونوا كتابا بالمعنى الدقيق » لكنت قد دعوت الناس الى الاحتفاظ بهذه المؤلفات كنماذج للخط العربي ليس الا .

تصوروا هذه الالاف المؤلفة من الكتب ليس فيها كتاب واحد حاول ان يبتكر قصة او يروي حتى نادرة . ومن بين مئات الالفها لا يوجد الا كتاب البخلاء للجاحظ يستحق ان يقرا . الكتاب الثاني ليس عربيا للاسف وانما هو كليلة ودمنة ومترجم عن الهندية .

لولا الكتاب الشعبيين ، اولئك الذين كانوا على الاقل يقدمون لرواد النوازل والمجالس متعة ، ولولا ما جمع من كتاب الف ليلة وليلة لخلا الادب العربي كله من القصة . ذلك ان القصة لم تكن تعود على صاحبها بكيس مليء بالدنانير ، وهكذا كان على الكاتب الذي يريد ان يحظى بصلة ان يناقق الحاكم ويكتب ما يحله مكانة عنده . والحقيقة ان هذا النوع من التزلف هو بالتاكيد تراث للنفاق . نفاق كاتبه لمشاهير عصره من الكتاب ، ونفاق للحاكم او الوزير ، ونفاق لما هو سائد ومنتشر من الافكار ، نفاق في نفاق . هذا هو تاريخ النثر العربي . ذلك النثر الذي بدا بالرسول الكريم محمد كاتبا . بل ومثالا لما يجب ان تكون الكتابة . لقد كان محمد الناثر الكاتب كاتبا ذا قضية . كان الاسلام قضيته . واقرا كتب الحديث سنجد الاسلام لا يغيب لحظه عن حرف او جمله او كلمه . هو دائما نصب عينيه، هو دائما موجود ، وبطريقه خلاصه موجود ، فاذا كانت القضيه واحده فالحديث دائما يضيف اليها الجديد ، ويحقق فيها من جديد .

ان نثرا بدأ بمحمد ، نثرا بدأ بكتاب الله القرآن والقصة فيه تحتل المكان البارز نثرا هذا شانه كان جديرا خلاف اكثر من نصفه عشر قرنا ان نصل بالقصة العربية وبالرواية وكل فنون الكلمة حدودا كان لا بد بها ان تسبق اوروبا بكثير . ولكن النثر للاسف تسلمه اناس غير كتاب في احيان او كتاب قضيتهم الوحيدة فعمه العيش والنصب . ولان الشعر ايضا تسلمه المداحون فالنتيجه ان ماب فن الكتابة العربية . وربما لو كان فنون الكلمه قد طلب حبه وعلقها ظلت تتغذى ارواح الناس ومعلوهم لكان شعبا العربي شيئا اخر. ولكن ، لان الدوله قامت وسيف العز ، اي عز ، قتل روح الامه بعمل فوقها وفانيها فقد كان طبعا ان يؤدي الدوله الى دول ، والدول الى شيع وان سيد الحكام بحياه الامة الروحيه وتربعوها كي يلائم اهواءهم . كان طبعا ان سعى دوله العرب الكبرى ، دوله الاسلام . وعلى بد الترك اخمدت البقيه الباقيه ولتجاهاته عام عاب الامه . ولم تبدا بحيا حتى بقام دوله محمد علي في مصر او ابراهيم ، في عهد اسماعيل فقط حين بدات نسمات الحريه تهب وتصبح القاهرة ملجا لكل فناني وكتاب الشام والعراق واقفسان والمغرب العربي ، ها فقط ، بدات علامات حياه تدب .

وكان لا بد ان ينقضي مائة عام على الاقل ، قبل ان نصل الكاتب العربي، ليس الى مستوى الكتاب الاوروبي فقط ، وانما الى اعلى مستويات الكتابه فاطبة ، مائة عام قبل ان يستشهد كاتب عاش ومات وكتب نصرا ونثرا واعلانا عن قضيه ، قضية شعبه .

هذه مرة .

المرة الثانية التي احسست فيها بالفخر اني كاتب ، حين تفضل الاصدقاء وعهدوا الي بكتابة هذا التقديم لقصص غسان كنفاني القصيرة الكاملة .

لا اقولها لاجامل او اضخم . اقولها لاني فعلا احسها واعنيها .

لو كتاب اكبر بيوت النثر في العالم قد طلب مني ان اقدم قصص كاتب مشهور لفرحت قطعا وربما شعرت للحظة بالغرور .

ولكن ان يطلب مني تقديم قصص غسان كنفاني فانه شيء لا احس له بفرحة ، انه شيء يجعلني احس بتشريف اعتقد اني لم اجدر به . من انا حتى اقدم كاتبا رفع عن الادب العربي كل عاره وغسل بدمه تقاعس مئات السنين ؟ من انا ، وماذا فعلت للقضية كي اقدم كاتبا فعل من اجلها ما اصبح في عداد الاساطير ؟

اني اذ اشكر لزملاء غسان ورفاقه ومواطنيه هذه الثقة لاعترف وانا خجل اني لم اقرا لغسان وهو حي سوى قصة او قصتين . بل واعترف ايضا اني لم اره في حياتي الا مرة واحدة حين جاء القاهرة لحضور مؤتمر الكتاب الاسيويين الافريقيين . وبالصدفة قابلته ، ولاننا كنا من مجموعة كبيرة فلم نتبادل الا اقل القليل من الكلمات ، فحتى هذا اللقاء اليتيم نفسه لم يستمر اكثر من نصف الساعة .

وانا ما اكثرين نلفاهم ، كتابا كبارا احيانا ومشهورين ، وحين تتركهم تحاول البحث في نفسك عن الاثر الذي خلفوه . نادرا جدا ما نلقى انسانا ، ذلك اللقاء السريع ، ونحس ، وفي الو انه خلف في نفسك اثرا لا يمحى .

كان جادا ووسيما واديبي البشرة .

وليس من ذلك النوع الذي دائما يكاد يلفاك حتى يفتح صدره على مصراعيه ويدلق كل ارائه في الناس والحياة وربما استشارك بعد دقائق في اخص مشاكله .

كان قليل الكلام .

وحين ذكرت له اني لم اقرا له الا قصة او قصتين ابدى دهشة غير مبالغ فيها، واستغرب ان يحدث هذا وقد كنت اول من فكر ان يهدي له اول مجموعة قصصية صدرت له .

وابتسمت ابتسامة من يعتذر عن جرح شعوره. واني لي ان اقول له لحظتها اني انقضي في اليوم الواحد ومن اتحاد الوطن العربي عددا لا يستهان به من الكتب والمجلات والاعمال القصصية المكتوبة بخط اليد . وان قراءة هذا كله يستلزم لا بد نفرغا كاملا ، ولعدة ايام متالية ، لمحصول نريد اليوم الواحد من الكتب يستلزم اياما نخطلها لقراءته .

ومن قرا في حسي الشك ان يكون الكتاب قد حدثني ، عاد يؤكد انه ارسله ، بل انه لا يزال يذكر الاهداء الذي ارسل به الكتاب .

نعم ، ولهم ذكائه الشديد وجاربه وحياته التي اضطرته ان يعلم الحرص ، كان لا يزال تعيبه تلك التعه الطفولية البريئة في الاحرص، وفي وقوفهم منه بنفس ما يوقع .

ومن تعه البريئة بالوه ودعروه .

اشتاء الان اقرا كل قصة قصيرة كتبها غسان ونشرها .

واعدا لم احاول ان اكون « موضوعيا » انما نردون دائما ، واقراء وكاني اقرا كتابا حيا ، وكاني لا اقرا لغسان الذي ظل يؤمن بقضيته حتى مزقوه اربا ، وكاني لا اقرا كتابه خطوطا نفس السد الشاحبة البيضاء التي راب صورتها في الجرائد وقد نشرت والقى بها الانجار الى احد سطوح المنازل على بعد عشرات الامتار .

ما معنى ان نكون موضوعيا هنا ؟

وهل ممكن ان نضبط انفعالك بحيث نقرا قصة لغسان نعلم مصيرها ، نتفحص الاعمال والانفعال اللذين نقرا بهما قصة لغلان وقد كتبها من مكتب وثير فاخر وبهدف ان تشع بها عواطف اجمال المراهقات فيحتفلن منه كاتبهن المفضل ويحلن على كسه ليصل توزيعها عشرات الالاف .

ان كل كلمه افرؤها هنا ، ليست مجرد كلمه ماخوذه من لغه ، انها كلمة ذات لمن ، كلمة لها رصيد ، تتلى اسواج الرصيد ، حياة كاتبها .

ان الجمل التي جاءت على لسان جيفارا في مذكراته لا تختلف عن الناحية « الموضوعية » كثيرا عن الجمل التي تتشدق وتتشدق بها الثوار في كل مكان .

جمل جيفارا تستحق وسيقى لانها جمل من دم ولحم واحياء . اذا كانت تشبه غيرها فحياة جيفارا وصبره هي التي تصنع ذلك الفارق الهائل المثير .

وهنا ايضا تحدد الفارق . ثمة شيء لا بد قد حدث لقصص قصص غسان باستشهاد غسان، كانت كلاما اصبحت صدقا ، كانت بحيا معنا على الارض فارتفعت الى السماء ، كانت تماثيل بصمها مخزن ، فوضعت كل منها فوق اعلى قاعدة تمثال . ان الشهيد لا يخلد وحده بالاستشهاد ، كلماته ايضا تستشهد معه وباستشهادها تستحيل من كلمات ذات حياة، موقوتة فانية الى كلمات حية على الدوام ، صادقة على الدوام ، مضيئة بمزيج اسطوري من النيل والسمو وجلال الانبياء .

ان التجربة الروحية الفريدة التي مررت بها وانا اقرا كل القصص القصيرة التي كتبها غسان احدثت في نفسي اثارا لم اكن احلم ان اتصورها .

فقوق انها جعلت قضية الشعب الفلسطيني تتحول في نفسي من عرضة دعوى واعمال بطولية اخبارية ، وشعارات ، تحولت الى مادة حية خالدة الحياة، الى قلوب وصدور ونبض، الى اطفال حقيقين ونساء ورجال مثلما يتحول كتاب الجغرافيا امامك فجاة ليس فقط الى فيلم حي ، ولكن الى احياء يحطين من حولك ، اكتافهم كل تاريخ ذلك الشعب وخصائصه، كل ملامحه ودروب خوالجه ، كل ما يجطهم اخلد حتى من الشعب ذاته ، فليس لخلد من الشعب الا الشعب حين يصبح غناء وموسيقى ولوحات.

وفوق انها جعلتني ، وايضا لاول مرة ، اقرا الانتاج الكامل لغسان كنفاني او لاي كاتب اخر ، فقد جعلتني افطن ايضا الى ان قراءة قصص غسان القصيرة على انفراد شيء اخر غير قراءتها مجتمعة . فقوق انها خليبة حبة ممكن ان نقوم بذاتها فهي حين تنضم الى باقي انتاجه يكون الانتاج جميعه كائنا حيا عملاقا ، او بالاصح عملا فنيا واحدا اكبر بكثير من كل مكوناته مجتمعة ، تكون في النهاية « قصة » غسان كنفاني . ودعك من روعتها والاثر المهول الذي تتركه ، فهي هكذا ، وبالنهاية المروعة التي انتهى اعظم قصة في تاريخ الادب العربي بل ربما في تاريخ غيره من الاداب .

ولم ار تكاملا مثل هذا التكامل . ان البطل في مجموعه الاولى مراهق يتعلم القصة لا يزال ، ويتعلم غسان « النازحون » ويتعلم ضرب النار. وبالتدريج ينقلنا غسان مع البطل والقصة لنصل بهذا الراهق الى الحد الذي اصبح العمل عمله من اجل حل قضيته، ويصل بالقضيه الى المدى الذي اصبحت فيه « ايديولوجيه » كاملة وفلسفة حل وكل الحياة.

وهناك النهاية تلك التي لم يكتبها غسان في قصصه القصيره او الطويلة فنهايات مثل تلك للكتابة ، حتى لم يعد هناك ما يكتب . وهكذا كان لا بد للنهاية ان تكون عملا فوق الكتابة ، وفوق اعداد الصور ، وفوق الخيال . كان لا بد ان تكون « العمل » النهر » او الاستشهاد ارقى واعظم واسهل مراحل اي عمل فني او انساني على الاطلاق .

الحقيقة الغريبة التي تكشفت لي ايضا واما اقرا القصص كاملة ان الموضوع الواحد ممكن، في يد الكاتب الصادق الملهم ابدا ، كل سطر في هذا الكتاب ، كل كلمة ، كل حرف من الممكن ردها مباشرة الى هذا الموضوع الواحد .

لقد كانت فلسطين موضوع حياة غسان ، وموضوع كتابات غسان ، وموضوع روايته ، ومقالاته وقصصه القصيرة ، كتاب اهما موضوع حياته وموضوع موته .

وهنا تكمن عبقرية غسان ، هذا الاخلاص الكامل للقضيه مع الصدق الكامل لهذا الاخلاص جعله يستطيع ان يكتب كل هذه الاعمال ، ومعظمها فنية ، دون ان يكرر نفسه مرة او يحدث عن التشويه الواحد مرتين . بل لا اريد ان ابالغ واقول ان موضوعه الواحد لم يكن فلسطين كلها دائما كان شريحة واحدة من القضية ، هي موقف الفلسطيني من قضية فلسطين .

اي اعجاز !

لقد كنت احيانا اصنع الكتاب جانبا واتامل في عمق احساس هذا الانسان بقضيته وتسخيره امكانه كل جليلة الحساسية لمبادم الدجاج التصوي عن الرغاءة والدقة . الى درجة اني احيانا اتحدث الا اذا كان الكتاب جانبا ، وتوقفني باطراف اناملي ، بلحظات حيرة وتوتر ، امام اشاءه ، بالدهشة اذا قرقها ، باشة ، باطراف قراءته .

أي جنون الفن حتى سامحنا ازاء هذا النوع من الاحان .

ونعود الى مواضيع النقاد الحبة . الفن في قصص غسان كنفاني . حسن الان . هذا رجل لم يتعلم ولم يتسق في بار الوعي ، ولا شغل نفسه بتحديد الشكل من اجل التحديد . ومع هذا فغسان كاتب جديد فعلا . حسن في الشكل جدا . لان الجدة لا تاتي من كثرة الجمله او احالة اللغه الى كلمات واختصار المواقف في رمز . الجدة ان يكون محصول العمل ، في نهاية المطاف جديدا . الرؤيا جديدة . رؤيا لم يسبق اليها احد ولا طاف بذهن بشر . في قصص غسان الاولى – وهذا شيء طبيعي – كان تاثره واضحا بهيمنغوي وشيكوفا وبالتاسين عليه قليلا من جبله من الكتاب العرب . ولكن غسان ما لبث ان وجد طريقه ، فالقصة ، ذلك الجبل المغناطيسي الهائل كان جذبها اقوى من اي اغراءة اخرى او مسالك اخر . ونغمها القصيرة شكلت اسلوب غسان الخاص ، وهكذا حدد غسان للعمل الفني القصصي الذي يتناول قضيته شعبية شكلا فنيا بارع الاتقان ، واهم ما فيه انه غسان كنفاني مائة بالمائة .

ليس عملي ان احلل القصص فاتبع خيوطها ومدلولاتها منذ ان كانت اجنة فقط ، الى ان اصبحت اشجار خطوط مليئة بالشاك والثمار وحبوب اللقاح . ليس هذا عملي ، ولا عملي ايضا ان امسك كل مجموعة لاحدد لها معالمها النقدية الخاصة . ليس لي شرف النقد . وليس لهذا التقديم حتى شرف النقديم . ان هي الا كلمة ، ارجو ان تكون كلمة طيبة ، كلمة لا حول لي فيها ولا قوة ، فقد عرفت اعمال غسان اكثر مما عرفته ، وقد عرفته حيا الف مرة اكثر مما عرفته شهيدا . ومعرفته غسان حي ولو لم نستطع معرفته امر سهل اتعا لاحاطه به هو المستحيل .

واخيرا ماذا اقول .

القول ان قراءة هذه المجموعة القادتني وعلمتني عن الفن والقصة والثورة والشعب اكثر بكثير من كل ما طالعه منها ؟

القول اني بعد قراءتها ادرك ان مصرع غسان لم يكن صدفه او محرد فورة ، ولكنه النهاية التي كان يعرفها سلفا ويعرف انها خاتمة المطاف ، ومنذ اول سطر كتبه ومنذ اول منشور وزعه .

لقد كان غسان توريا صادقا . انا لا اتكلم عن امتلقاته . اتكلم عن توعه . هذا النوع النادر بين الرجال ، وحتى بين التوريين ، النقي نقاء الصمر ، المخلص الى اخر المدى، ذلك النوع الذي منه دائما نقرف الضحيات ، منه يسجنون ، منه يقتلون ، منه يطردون ويتكلون . ذلك لان اعداء الثورة واعداء العرب واعداء الحياة يعرفون ان هذا النوع اخطر الانواع ، فلا شيء يحدي معه ، حتى الارهاب ، حتى الهدد ، حتى اسخى انواع الاغراء . الثورة عنده هي الله ، واي شيء خلا الحل الثوري شرك لا يمكن ان يقبله .

من اجل هذا قتلوه ، وسيقتلون كل غسان كنفاني . ولقد كان يعرف ، والذين يتظرون الموت ايضا يعرفون . كان يعرف ولكنه كان يتمك ، ليس في النهاية وانما في جذارته للنهاية اذ معناها انه الانقى والاطهر والاشرف، ورغم كل شيء فهو لم يكن يعتقد انه كذلك او باستطاعته ان يكون كذلك ، بل من اجل ان يكون ، راح يتدفع في النضال اكثر ، ويكتب اكثر ، ويحس ، كالصوفي المبتل ، ان بينه وبين الوصول منشار ومنشار . حسن يا غسان . لقد كنت واصلا وانت لا تدري. وكنت كاتبا وانت لا تريد . وكنت مناضلا وانت تعتقد انك كاتب . وكنت فنانا عظيما والفن عندك تراه ابعد ما يكون . لقد وصلت . ومن الاعداء تلك صك الوصول .

* * *

ايها الناس .

اقراوا هذه القصص عربي .

ثم لتعرفوا انكم موتى بلا قبور .

ولتعرف الحرائق لتعرفوا ان قبوركم تحجزونها وانتم لا تدرون . فور الثقاقه بلا ثورة والثورة بلا ثقافة . فور الخوف على الحياة حتى تستحيل النهاية الى وجود حيواني حسن.

اقراوا هذه القصص.

فهل رجل عاش

عاش كما لم يعش احد

حتى بمعاييركم البورجوازية

فقد نال من الحياة اقصى ما تستطيع بقدمه من نفع

نال صفة الشرف ، صفة الحر .

اما صنع العبيد التي تلفون فيها قاه لو رايتموها على حقيقتها يوما .

هذا رجل عاش

وصات

مات مفجرا منسوفا .

ولكن كل قطعة من جسده، كل خلية ، ستحمل من الوجود حتى وجودكم انتم ، اضعاف اضعاف ما تحمله افياكم وسياراتكم و ...

ذلك انه مات كي لا يموت . مات كي يعيش.

اما انتم فقد مسم مرات خوفا من الموت .

ان الرجل نبضة صدق وحرية .

والنبض في كثير منكم توقف من زمن ، اما الحرية ...

اقراوا قصص غسان كنفاني .

واجعلها يا شعب فلسطين فرآنك

فنوها وترجموها واحفظوها فهي اعمال تصنع الرجال

ام ان هذه الامة العربية ، لم يعد يهمها ان تصنع الرجال ؟!

* * *

غسان

الامانة وصلت والرسالة قضت ، ولك ان تنام قرير العين ..

اليك دائمًا.. دائمًا..

تنشر "الهدف" فقرات مما كان الشهيد غسان قد كتبه للمليس نجم ابنة اخته التي استشهدت معه

غسان

ايتها المليس الغالية

أتراك تتأجين ، بعد ، الى من يغنيك .. وانت ، الآن ، تغنين لصبا والحياة ، صداحة ، حتى لرجع صوتك ينفخ في رئتي الضوء وفي ذراعي القصب ؟

ألم أقل لك ذلك ؟ انني اعيش تجربة الابوة الاولى مرتين ... هل يتيسر لانسان ما انه يجترع كأسا "واحدا" مرتين ؟

لقد كان يخيل الي انك انت الطرف الذي يضعه الانسان امامه .. وهه هنا كنت حبا" ، وكنت قيمة ! أتوديه انه شعر في شيئا" البرئ لقد كنت ، انت ، عاطفتي الابوية الدافئة .

إلا انني سأقول لك شيئا" آخر .. وسأقوله بكلمة اخرى : أنت شيء لوحيد الذي أحب كهذا القدر ..

بكل صفات الطفولة كنت تتقطين كل حبي لك .. انه العمر والحياة ، ايتها العزيزة ، ولكنه الطفولة حرر طري .. سواء انك كنت حسين ، بزال الاعجاز الطفولي البريء ، كل حبي .. لطالما قبلي موسى ، ولكأنه قبلك لاول مرة ..

كيف يوسعني انه كونه حبيرا" بكل الذي تحبهم ؟ ومن هم الذين تحبهم ؟

لقد احسست يوما بأنه السلم الطويل الذي ارتقيناه نحن كان طويلا" حقا" وانه نهايته لا تكاد تبدو ..

لقد احسست انني ، انه كنت اجبكم حقا" فعلى انه كونه حبيرا" ثم حقا" ..

وهكذا ، يا غالية ، غوثا معا" ..

أتراك ستقرئين عني اللوح المحفوظ ما ترين وانا ما ترين ؟

اي ليس الصغيرة .. لو كانت الكلمة تستطيع .. لو كانت .. اذن لطغرت عنا في حبنا" عنها .. لو كان بوسع طرف انه ينبضه اذن لاعطيته قلبي .. لو كان بوسع الكلمة انه تضيء .. اذن لاعطيتك عيني .. ولكنه الكلمات اي ليس لا تستطيع ! لقد خلقت عاجزة ..

اذا تراني احمل ، ايتها العبورة الصغيرة هم حبي ؟ .. انت لنه تحيطي كبرودة ولنه ليس الخرافة .. نحن نعرف فقط كم نحب .. ولكننا لا نعرف قط كم نحب .. فلماذا تجهد انفسنا بالقول طالما انه الطريقة لا تزيد ؟

انني بحين أمام المدى ، وانه كنت قد اخطأت فحكمت على نفسي انه اسوقه اليك حبي كلمات ورسوما" ، فانني لاحس الآن .. حتى عظامي ، انه ذراعي ما عاد يستطيع التقاط كل ذلك الذي انبسط أمام خلوتي ، منذ انه حكمت على نفسي في سجنه الحروف .. وحتى الآن ..